سِيتَانَا

צטנא

سيتانا

צטנא

محمود فوزي

تصميم الغلاف: محمد دربالة

التنسيق والإخراج الداخلي: إسلام الحماقى

تدقيق لغوي: حماس أيمن

رقم الإيداع: 14847 / 2017

لوغاريتم
للنشر و التوزيع
Logarithm
Publishing & Distribution

المدير العام: إيناس ناصر

مدير التوزيع: حمزة القاضى

Logarithmpublish@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الناشر

سِيتَانَا

צטנא

(حين يكون للموت أوجه أُخرى)

بقلم

محمود فوزي

لوغاريتم
للنشر و التوزيع
Logarithm
Publishing & Distribution

الإهداء

إلى الغائِب الحاضر "والدي".

إلى مُدرس اللُغة العربية في المرحلة الإبتدائية والذي نَعتني بالفاشل يوماً ما.

إلى أبطال الرواية على أرض الواقع والذين سمحوا لي باستخدام أسمائهم... شُكراً.

إهداء إلى من كانت لي عوناً.

ثُم أخيراً، الإهداء الأول والأخير..... لك يا حامل روايتي.

#فوزي

المُقدمة

• أمكُث فى غُـرفتي الآن.. أتجوّل فيها بين الفينة والأخرى، أتحسس موضِع ألمِ قد ألمّ برأسي، وكاد أن يفتِك به.

• جُل ما يهمني أو يشغلني، هو نفاذ رصيدي اليومي من التبغ، أراك تحمل الرواية فى شغف ولهفة حتى تقرأ ما أكتب، أظنُّه لن يُهمك كثيراً أن تقرأ لشخص بائس مثلي، سأطلِعك على مشهد مكرر من حياتي اليومية حتى تتيقّن تمام اليقين بأني لا أملك شيئاً من أي شيء حتى أملك كل هذا الحيز من تفكيرهم، ثم احكم أنت:

كُلّيّتي/ لا أعرف بها أحداً لكن لا أحد بها يجهلني.

جزء منهم يراني خائبًا فى أمور النساء لأنه لم يلمحني يوماً وبجواري فتاة من اللاتي كانوا في حرم الجامعة، أراهم في نظري قد أتوا عن طريق الخطأ، بالتأكيد كُن يقصدن مناسبة سعيدة، أو ذهبن للتسوق وأتت بهم أقدامهن الى هنا!.

وجزء آخر يراني شيخ مُهذب نظراً للحيتي التي هي سبب أساسي في عِلو صوت والدتي يومياً والتي لا أحلقها من باب الكسل ليس إلا.

والجزء الأخير يراني شهواني أُفكر بنصف جسدي السفلي أولئك حقاً من أشفق عليهم.

أراهم جميعاً الآن ماكثين أمامي يشرب كل منهم من دم الأخر في كأس وضعتها لهم بيدي دون أن يراني منهم أحد.

أرأيت كم هي لُعبة سهلة؟.

بإمكانك أن تجربها إنها مُسلية، كل ما عليك فعله هو أن تجلس معهم وتبدأوا الحديث عني لكني لا أنصحك.

سأقص عليك الآن ثلاثة قصص ثم حدد أنت من أكون، ولا يعتمد ذلك على ذكائك..لاتقلق، بل يعتمد على مدى إحساسك بوجودي بالقرب منك.

وحتى لاتَمِل، سأسمح لك بتشغيل موسيقى هادئة.

* * *

تنبيه

إن قُدّر لهذه الرواية أن تخرج للنور، وتصل إلى المكتبات، وكنت أنت مِن هواة القراءة فلا أنصحك بإقتنائها.

فإن كنت ممن يُحبون أن ينعموا بنوم هادئ، فآخر ما تفكر بقراءته هذه الرواية.

كل ما بوسعي أن أقوله لك:

..."تأكد جيداً أنه لن يتركك ".

 # فوزي

لا يُجبر
(لقد حان دورك)

من البلاهة أحياناً أن تظن نفسك قوياً أمام شيئاً ما زال مجهولاً بالنسبة لك، ومن الصعب أن تحاول التظاهر بأنك قوياً من الخارج، وأنت لم يتبقى بداخلك شيئاً يصلح للحياة.

إنها الحياة يا صديقي، لا تعطيك شيئاً إلا وتكون على عِلم تام بما ستأخذه منك، لن أقول لك قاوم حينها، ولكن حاول أن تستمتع بما سوف تعطيه لك ولو لثوانٍ.

مررنا كثيراً بعلاقات وتجارب، أعتقد أنها لم تعطينا وتفيدُنا بقدر ما أخذت منّا، خرجنا منها وكأننا نلهث فى صحراء جرداء، نتوق إلى يد تخبرنا بأنه ما زال لدينا أمل أخير وهو فى تلك اليد الممدودة، ولكن ماذا لو كانت تلك اليد ما هى إلا يد تنقذك اليوم لتقتلك غداً، كعلاقة جديدة أو تجربة جديدة سوف تأخذ من روحنا مرة أخرى، ونحن من ضعفنا اعتقدنا بأنها اليد المُنقذة.

تباً لتلك الحياة، لا تعطيك الفرصة أكثر من مرة،

وكأنها أحضرتك عُنوة على سُفرة كبيرة، وقدّمت لك أطباقاً عِدة، وأنت من لهفتك حين فتحت عينك لم تجد إلا صنفاً واحداً في جميع الأطباق.

* * *

"لقد حان دورك " قالتها مُنى السكرتيرة.

هَمّ بالدخول شابُ فى الثلاثين يرتدي زيًا كلاسيكياً ويحمل في يده حقيبة سوداء من الجلد الفاخر، تكسو ملامحه الجدية.

ماجد.. يرتدي نظارة طبية يخفي ورائها الكثير من الخجل أمام نظرات البعض له، يعمل فى إحدى شركات البرمجة، نصف راتبه يذهب للكتب والندوات والنصف الأخر يدّخره، يظهر عليه الأحترام التام، لبِق فى كلامه ولا يتكلم كثيراً حتى لا يُخطئ كثيراً.

المكان:

عيادة أمراض نفسية لصاحبها الدكتور عِزت، مُصمَمة بطراز حديث، وموسيقى هادئة تجعلك تشعر بأنك من روّاد المكان منذ زمن.

الزمان:

الساعة الرابعة عصرًا.

دخل إلى المكتب وأخذ يتفحصه جيداً، كانت تلك من عاداته التي لن يتخلص منها مازال حياً، يقتنع تمام الاقتناع أن ديكور المكان يدل على شخصية مالكه، التي من خلالها سيعرف بأي طريقة سيحادثه.

كان لا يستهويه هذا النوع من العيادات و ذلك النوع من الأطباء، و يعتقد بأنهم يريدون من المريض شيئاً، ما هذا الفراغ القاتل الذى يجعلك تترك كل ما يشغلك وتجلس بجوار شخص اخر على أنغام موسيقى هادئة، حتى يهدأ ويتكلم معك؟.

من رأيي لا أنصحك أن تذهب إليهم مهما حدث لك.

- دكتور عزت أخصّائي أمراض نفسية.. اتفضل.

- أهلاً بيك يا دكتور أنا اسمي ماجد عندي تلاتين سنة وبشتغل فى شركة برمجة للكمبيوتر ساكن في القاهرة وأهلي من المنصورة.

- حلو جدًا ياعم ماجد، أنا لما عرفت سِنك فى الإستمارة اللى أنت مليتها استغربت جدًا وسألت نفسي ده جاي يعمل إيه عندي وأنا يدوب عندي لاب توب وسايبه مع السكرتيرة عشان مش بشتغل عليه.

- لا يا دكتور أنا جاي أكشف.

- تكشف على إيه يا ابني أنت لسه عيل صغير؟.

- متستهونش يا دكتور بالسن، أنا عشت حاجات غيري ما عاشهاش.

- ولو برضو أنت لحقت يا ابني تعيش أصلًا عشان تعيش أيام غيرك معاشهاش قول كلام يتعقل، واتبعها بضحكة.

لم يُحسن الدكتور أدائه أمام ماجد وخصوصًا أنها زيارته الأولى، ولم يدرك بأنه فعلًا يحتاج المساعدة أفضل من المُزاح.

قال ماجد في ضيق واضح: واضح إنك مش هتسمعلي أصلًا، أنا آسف إنّي ضَيّعت وقتك يا دكتور، سلام عليكم.

رد عليه الدكتور عزت سريعاً: استنى بس متقفش كدة أنا بهزر معاك.

ثم رفع تليفونه الماكث جواره على المكتب ليخبر السكرتيرة بأن تؤجل أي كشف اخر ليوم غد لكي يتفرغ تمامًا لتلك الحالة الغريبة والتي يحيطها الغموض التام.

ثم أردف قائلاً: ها يا سيدي انا معاك اتفضل ادِيني فضيتلك خالص، مشكلتك إيه؟.

أجاب ماجد باستنكار: أنا لو أعرف مشكلتي كنت هَحلها من نفسي ولا أجي لدكتور نفساني، أنا أذكى من كدة بكتير يا دكتور.

تعجب الدكتور من رده الغريب،.

وتابع ماجد غير مبالياً: أنا عايش لوحدي في شقتي وكل جيراني عارفيني كويس وبيحترموني جدًا، وكنت من كام سنة بكتب شِعر وبرسم وكنت موهوب جدًا بس كهواية.

حلو جدًا وبعدين؟.

أكمل ماجد: لحد فترة معينة بطلت كل حاجة واتفرغت للدراسة والشغل وبس عشان أعرف اتجوز وأعيش حياتي زي باقي الناس.

تمام.

عقب ماجد: لأ مش تمام، كل ده كان لحد ما في يوم كنت راجع من شغلي تعبان جدًا، ومن عادتي إني أول ما بروّح بشغل إسطوانات على جرامافون قديم عندي بتاع والدي الله يرحمه، وكنت بشغل أغنية معينة وهي"ساكن فى حي السيدة " لعبد المطلب،.

بشغلها كل يوم وعادي جدًا، مبيحصلش حاجة يعني، بس المرة دي الأمر اختلف.

أول ما اشتغَلِت وجَت عند مقطع معين،

النور قطَع وشبابيك الأوضة اتفتحت لوحدها بهدوء من غير دوشة، وباب الشقة اتفتح واتقفل وكأن حد فتحه ودخل وقفله وراه، أنا اندهشت زيك بالظبط كده، مش خوف أبدًا، بس كنت مش مستوعب فى الأول إيه اللي بيحصل، وأكيد طبعًا أنت جه فى بالك أنه جن والكلام الفاضي ده صح يا دكتور؟.

تقريباً أي حد مكاني بتحكيله هيقولك الكلام ده.

رد ماجد: أنا الوحيد اللي مخمنتش ده ومجاش فى بالي أصلًا، بالعكس كان عندي فضول أعرف مين ضيفي ده واللي استفزته الأغنية دي بالذات، واليوم ده بالذات كمان، فقرر يشرّفني بنفسه فى شقتي.

المهم اتمشيت ناحية الصالة ببص ملقتش حد خالص قفلت باب الشقة كويس ورجعت دخلت المطبخ، وأنا بحاول أقنع نفسي إن مفيش حاجة وإن كل ده من الهوا مش أكتر، رغم إننا كنا فى شهر مايو يعنى مفيش نِسمة هوَا أصلاً بس انت عارف الوهم وحش لو اتملِك من حد بيخليه يتخيل حاجات مش صح.

بعدها كملت يومي عادي جدًا وقررت أنام عشان شغلي الصبح، وقبل ما أنام اِتصلت باتنين صحابي ييجوا يقعدوا معايا يومين عشان نشوف الموضوع ده، كانوا (دكروري وفايز) دكروري قدي في السن وفايز أكبر مني بسنة.

* * *

صاح فايز:

ها يا رجالة إحنا بقالنا نص ساعة واقفين فى الشارع باصيين على الشقة ومطلعناش.

فايز دائماً ما كان يتصف بالعقلانية وكنا نحسده كثيراً على هدوئه في حل المشاكل التى تواجهنا سوياً،، كان يتحلّ بقدر هائل من البرود الذى يجعله يعيد ترتيب الأفكار ثم ينطلق فى سردها، فايز كان ممتلئًا إلي حداً ما، يحب الأكل أكثر من أي شيء.

ياعم إنت سمعت ماجد قال إيه؟ إنت مجنون ولا إيه بالظبط.

خرجت تلك الكلمات من علي شفاه دكروري، الذي كان يشبه السيجارة لنحافته، يرتدى نظارة طبية يستطيع الواقف أمامه أن يرى حدقة عينيه، كان يختلف تماماً عن فايز؛ فهو يُدخن بشراهة ولا يأكل كثيراً لدرجة أنك لو وضعت يديك على أوسطه لتلاقيا وكان لا يخاف أى شئ سوى الأشياء التي

لا تُرى، أو مجهولة المصدر أو لأكون أكثر دقة (العالم الآخر)، أظن أنه على حق، فبالتأكيد ليس هناك عاقل فى الدنيا يُفكر فى أن يحتك بهم، عالم آخر برجاله ونسائه وأطفاله، لهم حياة كاملة، هم ينظرون اليك وأنت تقرأ كلماتي الآن، نعم.. لا تندهش، إنهم حولك فى كل مكان، يجلس واحد منهم على الكرسي المقابل لك وهو ينظر لك ويضحك، والاخر... دعني أُذكرك بشئ صغير، ألم تشعر فى يوم من الأيام وأنت تجلس وحيداً، بأن هناك شئ ما يتحرك فى الغرفة؟ أو كنت مشغولاً فى عمل ما وشعرت بطيف يدور حولك أو شعرت بأنك رأيت شيئاً في الطُرقة او خارجاً من المطبخ؟.

هذا هو الآخر.. لا تخف وتفزع، هو فقط شعر بالملل، فحاول أن يُلفت نظرك بأنك لست وحدك فى ذلك المكان، فى المرة القادمة إذا شعرت بذلك فنصيحتي لك أن تحاول أن تُخرجه عن شعوره بالملل!.

توجهوا إلى الشقة وبالداخل دار حديث بينهم.

ماجد: أدينا وصلنا أهو.

دكروري: وبعدين بقى! هنعمل ايه؟.

ماجد: هنفضل صاحيين لحد ما تيجي الساعة 12 ونشغل الأغنية اياها عالجرامافون ونشوف ايه اللى هيحصل.

دكروري: وكان علينا بأيه ياولاد المجانين، ما تسيب امها ونمشي ونخلص.

ماجد: احنا فى ضَهر بعض من زمان، ومفيش حاجة بتخوفنا، ولا ايه يا فايز؟.

فايز: انا مش موافقك بصراحة.

دكروري: ايوة كدة اتكلم يابو العقل كله، قوله وعَقّله.

فايز: انا بقول منستناش للساعة 12.

دكروري: صح كدة ده اللى بقوله بالظبط، يلا بينا.

ماجد: تقصد ايه يا فايز؟.

فأخرج فايز كتاباً اتضح من غلافه المهترئ أنه قديم جداً ويحتاج الى إعادة هيكلته، أو إلى حرقه ثم أردف:

احنا مش هنستنى للساعة 12، احنا هنجبره يحضر قبل 12 ودلوقتي كمان.

صاح دكروري: أحيييييييه، وانا اللى كنت بقول عليك عاقل، طلعت راضع جنان وأجن منه، لا انت عقلك فوّت، وواضح ان الموضوع عاجبكم، كملوا انتوا ياعم أنا ماشي، العُمر مش بعزقة.

رد ماجد: اقعد يلا وبطل جُبن بقى، وايه الكتاب ده كمان يا فايز؟.

فايز: افهم يابني، الشئ ده مهما بلغت قوته ميقدرش يأذيك، لأنك اقوى منه بعقلك،.

ده ياسيدي كتاب شمس المعارف بس الأصلي مش المضروب، وكل المطلوب منك دلوقتي شوية حاجات هتجيبهالنا عشان نبدأ الشغل بقى.

ماجد: هتعوز ايه؟.

فايز: شمع وأي نوع طائر، وورق فاضي، وهتقفل كل الشبابيك والبيبان دي كويس جداً ولا تتفتح من هوا ولا يدخل منها نور، عايزين الشقة ضلمة كُحل وهتجيب كمان غطا علبة لبن، وورق مقوى على شكل مربع، و قلم عادي أو تخين.

ودي الطريقة، هنكتب على اللوح المربع كلمة نعم في أعلى الركن اليمين وكلمة لأ في اعلى الركن الشمال من الورقة، وبعدين فى السطر اللى بعده هنكتب الحروف الأبجدية كلها وكل حرف لازم يكون واضح وكبير ونكمل الكتابة لحد ما تنتهي، نكتب الأرقام وتكون فى سطر واحد من صفر لـ تسعة ومن تحتهم نكتب كلمة الوداع أو مع السلامة بشكل واضح ولازم تكون في النص أو تحت الأرقام، هنحط غطا الحليب فوق لوح التحضير في النص.

ينظر فايز إلى دكروري فيجده يرتعش خوفاً، فينهار من الضحك على منظره.

ويخاطبه ساخراً: يابني انت لحقت!، احنا لسة معملناش حاجة وبتترعش كدة هههههههههههههه متخافش.

* * *

قاطعه الدكتور قائلاً: وبعدين؟.

جبتله كل اللى طلبه، وبدأنا فعلا واول حاجة عملناها هي.

* * *

نادى فايز بصوت منخفض:

ها يا ماجد روح بقى شغل الجرامافون على نفس الأغنية اياها.

أهو شغلتها.

بدأ فايز في قراءة بعض الحروف والطلاسم الغريبة التى كانوا يسمعونها لأول مرة والتى كانت مرعبة جداً حتى من قبل أن يحدث أى شئ منها: "عزيمي إليكم

وعليكم يا معاشر الأرواح الروحانية وسُكّان الأرض والهواء أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شئ قدير.....».

• لا ترددها كثيرًا.

ولكن ليس بعد، فما إن انتهى فايز من القراءة وكتابة بعض الحروف على قطعة من القماش بدم الطائر وقام بإحراقها حتى سمعوا أصواتاً مرعبة من داخل الشقة فصمتوا جميعاً من الخوف الشديد.

فى نفس الوقت هرع دكروري إلى الأرض والتصق بالحائط يبحث عن أي شئ يحتمي خلفه ويتمتم بآيات قرآنية وبالتأكيد كان يخطئ فيها لأنها أول مرة من زمن بعيد يأتي بها على لسانه.

سحقاً للإنسان لا يتذكر ربه إلا عند الخوف أو الموت، أين كان عندما كنت فى كامل قواك وصحتك ولا يهيبك شئ ابداً؟.

نظر له ماجد نظرة غاضبة كأنه ينهاه عن فعلته ظناً منه أنه سيمنع حضور ذلك الضيف.

الوحيد الذى لم يُحرك ساكناً هو فايز، الأمر الذى دفع ماجد للدهشة، إنها أول مرة يفعل هذا الأمر على الإطلاق، من أين أتى بذلك الجبروت، هل مات قلبه قبل ذلك عندما مات أبيه على يده ولم يستطع إنقاذه؟ أم عندما حاول الإنتحار حينما كانت تنعته أمه بالفاشل عندما التحق بكلية الصيدلة ولم يسعفه مجموعه أن يصل إلى ما تتمناه امه (كلية الطب) وأنها دائماً ما كانت تُفضِل عليه اخوته.

ظلّت تلك الأسئلة تساور ماجد كثيراً حتى حدث شئ ما.

ظهر أخيراً!، كان واقفاً فى الهواء يُطل عليهم من شباك الغرفة المُطلة على الشارع، لم يروا منه سوى عينيه، كانتا حمراوتان، كأنه يخبرهم أنه كان مشغولاً وقاموا بإحضاره عُنوة.

استطرد ماجد قصته قائلاً: لم نستطع أن نُطيل النظر كثيراً، كل ما شغلني وقتها أن اطمئن على دكروري الذي سمعته يهرول مسرعاً إلى خارج الشقة وهو يصرخ: " الحقوني داس على رجلي مش قادر اجري ".. ثم سمعت صوت ارتطام رأسه قبل أن يسقط على الارض.

فى نفس اللحظة، حدث شئ غريب، عادت الإضاءة مرة أخرى فى أرجاء الشقة وكأننا فى وضح النهار.

أخذت حوالي نصف دقيقة لاستوعب ما حدث، ثم ذهبت الى دكروري كي اطمئن عليه، فوجدته مُمسكاً برقبته، ورأسه غارق في دَمه اثر اصطدامها في الحائط، ووجهه مائل إلى الزُرقة، وعيناه تنظران إلى السقف في منظر مُرعب فمسكت يده اتحسس نبضه، فوجدته متوقفاً، لقد قُتل! لقد قتله الضيف، لم نقصد أن نقلقه، كل ما فى الأمر أننا دفعنا الشغف لمعرفة هويته، ولكن لم نكن نعلم أن السحر سوف ينقلب على الساحر بهذه السرعة والجدية.

تقدم إليّ فايز ثم امسك بيدي وقال:

اللى حصل حصل يا ماجد لازم نتصرف فى الجثة حالاً، هنزل انا دلوقتي ارتب كل حاجة واجيلك على الساعة 12 بالكتير عشان ناخده ندفنه قبل الصبح ما يطلع، سامع يا ماجد؟.

لم اجد ما انطق به سوى أنى هززت رأسى بالموافقة، من يدري ماذا سوف يحدث غداً؟ وبالتأكيد لا أحد يحب ان يكون بين ليلة وضحاها نزيلا فى إحدى السجون.

كل ما كان يُهمني فى ذلك الوقت ألا تبدأ الجثة بالتعفن، حتى لا ينكشف أمرنا، بمعنى أدق حتى لاينكشف أمري لأن الحادثة كانت في شقتي.

منذ سنتين كنت أجلس مع أشخاص يقومون بتحنيط الحيوانات المفترسة وهي حية حتى تبقى على وضعها، وكان هذا العمل بمثابة عمل فني رائع أدهشني فى البداية وأثار فضولي لكي أتعلمه ولم أكن أعلم أنه سوف

يأتي يوم من الأيام وأفعل هذا الشئ بيدي، ولكن ليس على حيواناً مُفترساً..... بل على بشر.. و من؟ دكروري!.

كانت الساعة الرابعة عصراً وقد أمضى على خروج فايز لإتمام أمور دفن جثة دكروري ربع ساعة فدخلت إلى المطبخ لكي احضر خلطة ما، احضرتها وأتممت فعلتي ثم سحبته إلى الحمام ووضعته فى البانيو وأغرقته بالخل.

رن هاتف ماجد برقم ما، بَدى على وجهه أنه لا يريد إتمام المكالمة، أغلق الخط ورجع إلى الحمّام، ليكمل ما بدأه.

بعد حوالي ساعتين حضر فايز وطرق الباب فخرج ماجد ليفتح له.

صاح ماجد في استعجال: ها عملت ايه؟.

فايز: ظبطت كل حاجة، وجِبت كيس لحفظ الجثث، وجِبت عربية يسري صاحبنا عشان ننقل بيها الجُثة بهدوء، نظر فايز إلى الأرض فلم يجد الجُثة، فاندهش وسأل ماجد في خوف.

هو فين؟.

أجاب ماجد في هدوء عجيب: متخافش، تعالى.. هوريك عملت ايه.

دخلوا سوياً إلى الحمام، ودار هذا الحوار بينهم.

فايز: انت عملت فيه ايه؟.

ماجد: أي جُثة بتبدأ تتعفن بعد ساعة من خروج الروح، والجُثث المصابة بجروح أو اللي بينزل منها دم بتتعفن أسرع، فانا خوفت تتأخر عليا قومت عملت حاجة عظيمة.

فايز: هو ماله جسمه مخشب ليه كدة؟ انت حنطته؟.

ماجد: امممم مش بالظبط، أنا عملت حاجة أشبه بالتحنيط بس إسمها حفظ الجثة، ودى حاجة مؤقتة عشان ريحته متظهرش ونتفضح، عشان زي مانت عارف ريحة البشر بتبقى اصعب ريحة نتنة لأى جسم فيه روح.

فايز: عملت ايه فهمني؟.

ماجد: جيبت قرنفل وملح وخل وخلطتهم ببعض وفتحت فى الجلد فتحات بسيطة، تسمحلي أحط الخلطة دي تحت الجلد ورجعت خيّطت الفتحات الصغيرة دي تاني، ايه رأيك؟.

فايز: يابن الصايعة، يخرب بيتك اتعلمت كل ده فين؟ انت يابني اللي يشوفك يقول إنك اغلب من الغُلب.

ماجد: الموضوع كله إكتساب خبرات جديدة مش شرط تبقي في مجال واحد، تقدر تقول حاجة للزمن او للطوارئ، مثلاً موقف زي ده لولا إني عملت كده كان زماننا اتفضحنا وخصوصاً إننا فى عز النهار، وكمان عشان المتطفلين جيراني.

فايز: طب بينا نشيل الجثة في الكيس بسرعة عشان نخلص، يخرب بيت الريحة.

ماجد: متخافش قدامه ست ساعات لحد ما يطلعله ريحة، اللى انت شامه ده ريحة القرنفل مع الخل.

* * *

قاطعه الدكتور مجدداً:

وبعدين يا ماجد؟.

ولا قبلين، نزلنا الساعة عشرة بالليل دفنّاه ورجعنا.

سأله الدكتور بصوت هادئ.

ودفنتوه فين؟.

أأمن مكان محدش يتخيله أصلا.

- فين؟.

رد ماجد وعينيه تضئ تحت أضواء غرفة عزت:

- فى حوش كافتيريا الجامعة اللي احنا فيها.

انت بتتكلم بجد؟.

اها، بتاع الأمن كان يعرفنا كويس جداً، وخصوصاً لإننا كُنا بنجيبله أى حاجة يحتاجها، كان راجل كبير في السن، وكان دايما بيحتاج حشيش و منشطات جنسية

وكان صعب عليه يجيبها لوحده، فبما إن فايز فى صيدلة وكان يعرف ناس بيبيعوا الحشيش، فكنا بنجيبله كتير.

المهم وصلنا يومها على الباب، وبعد ما سلمنا عليه، سألنا:

ايه اللي جايبكم متأخر كده، دانتوا مبتجوش بالنهار لما تيجوا بالليل.

بصيت لفايز لقيت ايده بتترعش وخصوصاً لما بتاع الأمن بصله في عينه خلاه يقلق، فجت في بالي فكرة فقولتله:

أبداً ياعم مصطفى انت عارف إن فايز في كلية صيدلة ودول عالم بعيد عنك مجانين، وخلاص فاضله إمتحان واحد والترم يخلص، فطلَبِت معاه يجي يشوف حاجة في المعمل بتاع العقاقير، نص ساعة بالكتير وهنخرج على طول، حطيت إيدي فى جيبي وطلعت حتة حشيش وحطيتها فى إيده فشكرني وفرح، وسمحلنا بالدخول ودفنّاه فى كافتيريا علوم.

قاطعه الدكتور عزت:

مش شايف إن الفكرة متدخلش على دماغ عيل صغير؟ واشمعنى علوم؟.

اها عارف طبعا، عشان كدة قولتها، لإنه مفيهوش عقل أصلا، اللي زي عم مصطفى تملكه بحاجتين، لسانك والحشيش،

اما اشمعنى علوم بقى لسببين.

أولا: إنى قايل لعم مصطفى نص ساعة وهنخرج فمكنتش عايزه يشك فينا لو إتأخرنا أو جينا بدري، وكلية صيدلة بعد البوابة بمبنى واحد يعني هناخد أقل من نص ساعة.

ثانياً: عشان لو حصل اى خطأ ما، نبقى احنا بعيد جداً عن التهم لإن أنا فى كلية تجارة وفايز فى صيدلة ومبنروحش كلية علوم أصلا، متستعجلش.

* * *

صاح ماجد مستعجلاً فايز:

يالا يا فايز اتأكد ان مفيش حاجة باينة و رجّع كل حاجة زي ما كانت.

فايز: متقلقش، أنا خلّصت.

* * *

الزمان:

بعد أسبوعين من وقوع الحادث.

المكان:

مركز شرطة قسم أول أسيوط.

محمد بيه، جالنا بلاغ من جامعة اسيوط، من رئيس جامعة كلية علوم، بيطلب فيه حضور قوة شرطة للتحقيق فى ظهور ريحة كريهة في كافتيريا كلية علوم.

على الفور، توجهت قوة أمنية إلى جامعة اسيوط للبحث فى الأمر الذى أحدث ضجة كبيرة في أرجاء

الجامعة، أمر الظابط المختص بالتحقيق فى الحادث، بحفر ذلك المكان حتى يعلم ما تحتويه تلك الأرض من شئ عفن لتلك الدرجة.

محمد بيه.

فى ايه يا عسكري؟.

بعد إذن سيادتك في حاجة لازم تيجي تشوفها بنفسك.

لم يستطع كل من في المكان أن يتحمل الرائحة التى أحاطت بالمكان حينما فُتح كيس الجثة ووجدوا بها جسد إنسان، سقط من سقط منهم مغشياً عليه، وجزء منهم لم يكن لديه الشغف الكامل لمعرفة هوية الجثة ورحلوا، والجزء الأخير اكتفى بالمشاهدة في صمت، حتى أمر الظابط بإجراء اللازم من نقل الجثة إلى المشرحة لعرضها على الطبيب الشرعي؛ ليحدد بمعرفته هوية المجني عليه.

* * *

تحرك الدكتور عزت بجسده للأمام في اهتمام وقال: ها؟ وبعدين؟.

ابتسم ماجد ابتسامة جانبية خفيفة و أجاب:

فى الأول قبل الحادثة، كنت معروف إلى حد ما خصوصاً اني كنت بنزل أقول شِعر فى حفلات كتير فاتعرفت من طلبة كتير، وكانوا عارفين عني إنّي محترم جدا ومبقفش مع بنات ولا الكلام الفاضي ده، مش عشان زي ما كان معظمهم بيقول إني تنك او مش فاضي، لأ عشان مش شايف انى هستفيد حاجة لما اضيّع وقتي في حاجة زي دي.

الدكتور: صح.. التحنيط وتحضير الجن والدفن أهم فعلاً.

ماجد: بتتريق طبعا، بس ده كان أمر طارئ وكان لا زم اتصرف فيه، والحي ابدَى من الميت زي ما بيقولوا.

رن هاتف ماجد برقم ما، فأغلق الخط بعصبية.

ماجد: انا هستأذن يا دكتور عشان تعبت نكمل يوم تاني.

الدكتور: وهو كذلك، اتفضل يا ماجد، مع السلامة.

خرج ماجد من مكتب الدكتور، ثم أشار بيده بتحية السلام للسكرتيرة، وغادر العقار تماماً ذاهباً إلى شقته لكي يستريح، وكأن جبلاً كان على عاتقه وأزاح جزءاً منه.

* * *

داخل قسم الشرطة، يقف الظابط الجديد المُختص بمتابعة القضية، بعد أن تنحّى الظابط القديم عن تلك القضية الصعبة والمُعقدة.

كان قوياً، له أكتاف عريضة، ذو شارب كبير مُهذب، عينان واسعتان، وله نظرة ثاقبة كعين الصقر، صوته أجَش.

علا صوته وهو ممسك بسماعة الهاتف وقال فى عصبية بالغة:

- يعني ايه مش عارفين نقفّل قضية واحدة بقالها 8 سنين؟.

انا عايزك تحولّي الطبيب الشرعي للتحقيق وتجيبلي اسامي العساكر اللى كانت موجودة ساعة ما خرّجوا الجُثة.

عصام والي، ظابط شرطة من الظُباط الأكفاء، تم نقله من مديرية أمن الاسكندرية لمديرية أمن اسيوط خصيصاً لمتابعة القضية وإغلاقها تماماً، لأنها برغم كل هذا الوقت، فقد شغلت بال الرأي العام كثيراً، بل كانت من أهم القضايا التي حدثت فى اسيوط فى الآونة الاخيرة.

* * *

استيقظ ماجد من النوم على صوت جرس الباب، فيجدها امامه!.

ماجد: انتي ايه اللي جابك هنا؟.

- انت وحشتني اوي وكمان مشوفتكش من فترة كبيرة.

ماجد: انتى غبية؟ انا قايلك ولا ترني ولا تيجي الشقة، انا اللي هرن وانا اللي هوصلك.

- انت ايه يا اخي مبتحسش بقولك وحشتني.

ووضعت يدها على كتفيه وقامت باحتضانه حضناً كأنه جاء بعد غياب دام لسنين.

في الحقيقة كان ضعيفاً امامها، لم يستطع أن يُبعدها أو ينهرها وهي في حضنه.

لكل شخص منّا نقطة ضعف ما وأصعب نقطتي ضعف قد يكونا فى أي رجل هما، قلبه وحضنه، وأى أُنثى تنجح في إمتلاك هذين النقطتين، فقد امتلكت الرجل كلياً، فيصير في يدها كخاتم في إصبع صغير.

على كلٍ، اغلق ماجد باب الشقة ورفعها بيديه كطفلة صغيرة ودخل بها إلى غرفة نومه، في نفس الوقت كانت هي تضع يداً على كتفه والأخرى تداعب بها ذقنه الناعمة، أما عن عيناها فكانت في مكان آخر.

ظلّت تنظر له فى عينه، هي فقط من ترى أن عيناه ساحرتان، ذلك من وجهة نظره لأنه يرى أن لا احداً يحب عينان، سوداوان كسواد الليل، أما هي فكانت تعشقه كثيراً، وكانت تفعل له كل ما يطلبه قبل حتى أن يطلبه، غريب ذلك الشئ المدعو بالحب، بمجرد أن تحب

شخص ما وتتعلق به فتصيران شخصاً واحداً يهبُك الحب حاسة جديدة تجعلك تسمع ما يقول دون أن يتكلم، تفهم ما يريد دون أن يهمس، تُلبى له أي شئ قبل أن يطلبه، كل شئ يحدث سريعاً بمجرد تفكير الشخص الآخر فيه، كل ما عليه فقط أن يفكر بعقله، وسيكون كل شئ قيد الحدث، ذلك ما كانت تفعل هي بالظبط.

أرى فى عينيك شغف القارئ الذى يتشوق لمعرفة من المدعوة بـ"هي"، ستعرف فيما بعد ولكن لا تستعجل.

دخل بها إلى غرفة نومه، ووضعها بهدوء على الفراش، ثم أزال قميصه تماماً، وأخذ يداعبها فى رقبتها بأصابعه، ويُقبّلها فى كتفها العاري، حتى ذابت كما يذوب السكر في الماء.

حتى لا أطيل عليك، حدث ما دار في بالك الآن، وقد أصبح الشيطان ثالثهما بشكل كامل.

بعد ليلة هادئة لم تتكرر منذ فترة كبيرة، استيقظ ماجد من نومة عميقة، مرتاح الجسد والبال، فلم يجدها

بجواره، ووجد ورقة مُعلقة على الحائط كُتب عليها " حبيبي انا نزلت الشغل، كنت واحشني اوى، بحبك ".

احرق الورقة ثم ضحك، قام بترتيب فراشه وأعد فطاره واستعد للنزول إلى عمله ثم بعد ذلك لديه مقابلة مع الدكتور عزت، حتى دق جرس الباب.

- انت ماجد نور الدين؟.

- ايوة يا فندم خير؟.

- ممكن تتفضل تيجي معانا القسم، مش هنعطلك كتير.

- بتهمة ايه طيب؟.

- ولا تهمة ولا حاجة، إن شاء الله تعرف هناك.

- حاضر اتفضل، (أغلق باب الشقة ونزل معهم فى هدوء).

حَضر ماجد إلى قسم الشرطة، تم احضاره لأول مرة رغماً عنه، كان يكره ذلك المكان بكل ما يحيط به من حوائط عالية وأبواب حديدية وأشخاصاً ترتدى بزّات لونها بُنّى،

ممسكين بأسلحة ثقيلة، تكاد تكون ضِعف أوزانهم، كان قد دخله مرتين فقط في حياته، المرة الأولى كانت حين ذهب لعمل بطاقة تعريف الشخصية و الثانية حين جددها.

دخل إلى مكتب الظابط عصام والي، والذي كان في مأمورية على وشك أن ينهيها و يأتي إليه كما أخبروه.

أخذ يتفحص المكتب بعينيه جيداً، بكل ما فيه، مكتب كبير يدل على عِظَم رُتبة مالِكه،على الحائط توجد رأس ثعلب مُحنط، تحسبه على قيد الحياة و ينظر اليك، إلا حين تقترب منه وتتحسسه بيديك، خلف مكتبه توجد صورة بحجم كبير للرئيس محمد حسني مبارك، والذى يظهر فى هيبة كبيرة، على يسار الباب توجد شُرفة صغيرة تُطِل على الشارع وتستطيع أن تكشف منها المنطقة بأكملها، وأخيراً على اليمين توجد دلفتين بداخلهما أرفف، يظهران من خلف لوحين زجاجيين، تلك الأرفف كانت تحمل أسلحة كثيرة، كأن صاحب هذا المكتب يستعد للدخول فى حرب ما بمفرده.

ينتهي من فحص المكان قبل أن يدخل الظابط إلى المكتب ويبدأ الحديث:

- زي مانت قاعد، انا الرائد عصام والي، بعتذرلك أولاً عن الطريقة اللى جبناك بيها بس متقلقش النقاش ده وِدي، يعني هنفضفض سوا، وتقدر تتكلم براحتك مفيش مَحضر هيتكتب، تشرب ايه؟.

رد ماجد في عجلة: شكراً لحضرتك، خلينا فى المهم عشان عندي شغل.

الظابط: متقلقش مش هعطلك، انت كنت فى كلية ايه؟.

ماجد: كلية تجارة جامعة اسيوط.

الظابط: انت من اسيوط نفسها؟.

ماجد: اه حضرتك.

الظابط: كان ليك اصحاب فى الكلية؟.

ماجد: لا بس كان ليا اصحاب فى كليات تانى.

الظابط: اسمهم ايه وكلياتهم؟.

ماجد: أحمد فايز فى كلية صيدلة، و.

الظابط: ومين؟.

ماجد: محمود الدكروري فى زراعة.

الظابط: ولسة على اتصال بحد فيهم؟.

ماجد: لأ حضرتك، كل واحد فينا خلص كليته وشاف شغله، والحياة شغلتنا عن بعض.

الظابط: متأكد انها الحياة بس؟.

ماجد: مش فاهم، تُقصد ايه؟.

الظابط: إنت اخر مرة سألت عن أي حد فيهم كانت امتى؟.

ماجد: مش فاكر بالظبط بس آخر مرة شوفنا بعض كانت في آخر امتحان ليا فى الترم الاول لسنة رابعة لإني من بعدها سافرت بره.

الظابط: يعني انت مكملتش الترم التاني؟ يعني سقطت وشلت السنة؟.

ماجد: اها بالظبط كده.

الظابط: امال اشتغلت ازاي وعلي حد علمي الشركة اللي انت شغال فيها شركة كبيرة و مبتقبلش أقل من مؤهل عالي؟.

ماجد: ابداً حضرتك، كل القصة إنى كنت بتدرب من قبل ما اشتغل باربع سنين فتقدر تقول اخدت خبرة، وده اللى خلاهم يعملولي استثناء عن باقي الناس.

يرن هاتف ماجد، فينظر إليه فى غضب ويُغلق الخط.

الظابط: لو تليفون مهم ممكن ترد.

ماجد: لا ده عميل بيرن عليا.

الظابط: طيب ممكن تتفضل تروح شغلك، بس سيبلى رقمك في الورقة دي، ولو احتجناك هنوصلك.

أخرج الظابط قلماً عريضاً ووضعه له على المكتب، ولكن ماجد أخرج قلمه الخاص وكتب رقمه.

ماجد: حاضر، بس ممكن سؤال حضرتك.

الظابط: اتفضل.

ماجد: هو فى ايه؟.

الظابط: هتعرف.. قريب هتعرف (ونظر له نظرةً دقيقة).

قام ماجد وعدّل من هندامه، ومد يده بكل ثقة مصافحاً يد الظابط، صافحه الظابط ثم شَكَره على حضوره.

خرج من المكتب بكل هدوء، كأنه انتصر فى جولة أولى، فى حين أن الظابط كان عائماً في حيرته فاستدعى صديقه المُقدم (سالم) ليناقشه فيما حدث.

الظابط: عارف يا سالم ايه اللى هيجنني؟.

سالم: ايه يا فندم؟.

الظابط: ثقته فى نفسه، الواد بيتكلم ببرود تام.

سالم: طب ما يمكن يكون مش هو فعلا حضرتك!.

الظابط: جايز، فى شهادة الشهود على الواقعة، كلهم قالوا ان اللي اكتشف الريحة وقتها كان (أسامة) عامل الكافتيريا اللى بينزل الطلبات، وساعتها زاد الشك عنده لما جه الكلب اللى بيأكله وقعد يشمشم فى نفس المكان ورفض يسيبه، فراح لأمن الجامعة عشان يبلغهم،

تانى حاجة، بعد ما عرفنا الجثة دي لمين، سألنا عليها وعرفنا من الناس فى الجامعة انه مكانش بيمشي غير مع اتنين بس ماجد وفايز، ماجد ووصلتله، فايز ده بقى اللي هموت واعرف هو فين، انا شاكك ان فايز هو الجاني، والدليل المؤقت إنه اختفى فجأة ومحدش يعرف عنه حاجة، وكمان الإيد والرِجل عليهم بصمات واحدة بس، يعنى اللي عمل كدة فاعل واحد مش اتنين وكمان اللي فتح فى الجلد فتح بايده اليمين، وماجد لما كتبلي رقمه كتبه بالشمال، ولما رفعنا البصمات من عالجُثة ملقناش بصمات ماجد، لإنه كان عامل فيش قبل كدة فى القسم وده لما عملنا مقارنة

للبصمات مطلعتش مطابقة لبصمات ماجد، وطبعاً لسة منعرفش بصمات فايز لإنه مش من اسيوط، أما ماجد، الواد ده لُغز وذكي و مبيسبش حاجة وراه.

سالم: كده كده الواد ده تحت عينينا نجيبه فى أي وقت، لسة القضية مخلصتش.

تقدم عصام والي إلى الشُرفة المطلة على الشارع يتابع ماجد وهو يستقل سيارة أجرة قائلا: هتخلص، وشرفك يا سالم هتخلص،.

روح يا سالم خلّي الواد صابر يعملّي قهوة والله شكلي هطوّل معاكم فى أسيوط هنا، وانا هتصل باخويا اشوفه فين.

* * *

وبعدين يا ماجد ايه اللي حصل؟.

ماجد: زي ما قولتلك كده كان معروف عني إني سُمعتي كويسة جدا وكل الناس بتحترمني، حتى الدكاترة بيشيدوا

بأخلاقي، لدرجة إن فيه منهم كان فاكرني شيخ عشان دقني كانت كبيرة شوية، مع انهم مشافونيش مرة داخل مسجد الجامعة، بس انا بذكائي سبكتهالهم زي ما هما عايزين.

الدكتور: عملت ايه يعني؟.

ماجد: كان لما يجي ميعاد لوقت صلاة أقول اني عندي محاضرة أو كورس ويدوب اروح احضر عشان الحق اصلي والصلاة متتكومش عليا.

الدكتور: وصدقوا كدة بسهولة؟.

ماجد: واسهل من كدة، خصوصاً على واحد زيي، كان لما يعدي من جمب واحدة يبص فى الارض ويوسعلها الطريق، ويتكلم مع الناس بكل احترام، فصدقوا.

الدكتور: بس ده كدب ونفاق.

ماجد: مش اوي كده يا دكتور، دي ما هي إلا حيلة لتنفيذ اللي في دماغي.

الدكتور: يعني تقصد انك كنت مخطط لكل ده من الأول؟.

ماجد: متستعجلش يا دكتور، هتعرف كل حاجة في وقتها، ولا مش عايز تعرف باقي الحكاية؟.

الدكتور: اتفضل.

ماجد: بعد ما خرجت من عند الظابط فى المكتب جالي تليفون من صاحب كشك جمب القسم، عرفت إن فايز راح للظابط، فاتصلت بيه عزمته عالعشا عشان كان بقالي فترة مشوفتوش وكمان اعرف منه ايه اللى حصل مع الظابط، وفعلاً جه في ميعاده بالظبط.

* * *

تحدث ماجد بلهفة: إيه يابني واحشني، بقالك فترة مش باين ليه؟.

فايز: عادي قولت اختفي عشان موضوع الدكروري ده، عشان متبقاش العين علينا.

ماجد: طب تعالى إدخل عاملّك عشا يستاهل بطنك.

فايز: دايما إنت كدة مبتعديش عليك الحاجات اللى بحبها.

أجابه ماجد بابتسامة: وانا عندي كام فايز.

* * *

اتعشينا وشربنا الشاي ولقيت فايز حس بألم فى بطنه ووقع عالأرض وقعد يتلوى زي الحية، جريت عليه وانا مش فاهم ماله، قالي انه حاسس بمغص فظيع جدا هيموته، مكنتش عارف اعمله ايه، مكملش عشر دقايق ولقيته قطع النفس.

الدكتور: وبعدين؟.

ماجد: مفيش، قضاء ربنا وجِه هعترض؟، اتصلت بـ يسري اللى معاه العربية اللى نقلنا بيها جُثة الدكروري.

الدكتور: اها عشان تودوه المستشفى طبعًا.

ماجد: لا عشان ندفنه.

الدكتور: ودفنته فين المرادي؟!.

ماجد: مدفنتوش، عملت فيه نفس اللي عملته في الدكروري بالظبط، نفس الخلطة والحشو تحت الجلد،

وبعدين اخدته وروحت بيه ناحية القسم وحطيته على رصيف قبل القسم بشارعين.

الدكتور: طب ومدفنتوش ليه، ده صاحبك ده حتى من باب (إكرام الميت دفنه).

ماجد: كان الوقت متأخر ومكنتش هعرف اتصرف فمكنش في بالي غير إني اتصرف في المصيبة دي فحطيته عالرصيف، وبعد ما روّحت افتكرت إنه قريب من القسم، بعديها بيومين الظابط رن عليا طلب يشوفنى وروحتله.

* * *

- اخبارك ايه يا ماجد.
- الحمد لله تمام، خير؟.
- قولي يا ماجد آخر مرة شوفت فايز كانت امتى؟.
-انا قولت لحضرتك إنها كانت من فترة كبيرة.
- يعنى متقابلتوش من يومين يا ماجد؟.
- لا انا رنيت عليه فعلاً عشان احدد معاه ميعاد واشوفه.

- ها وبعدين؟.

- حددنا ميعاد فعلا، واستنيته ومجاش.

- يعنى مشوفتوش خالص؟.

- لأ حضرتك، فيه حاجة تاني؟.

- فاضل حاجة أخيرة، هوريك صورة كدة وتقولّي رأيك.

أخرج الظابط من درج المكتب صورة بالأبيض والأسود ثم أعطاها لماجد.

- ايه ده؟ ده فايز! حصل إمتا الكلام ده؟ وبدا متأثراً.

- لقينا جثته من يومين مرمية في شارع قبل القسم ولما دورنا في حاجته لقينا موبايله وكل حاجته معاه وآخر رقم كلمه كان رقمك، يعنى متعرضش للسرقة مثلاً وحاول يقاوم فالحرامي قتله، ومش باين على جسمه اي آثار تعذيب تدل على انه اتقتل بقصد.

- وعرفتوا سبب الوفاة ولا لسة؟.

- مش هخبي عليك القضية دي أسرع قضية تخلص من الطب الشرعي، ولما جه تقرير الدكتور، افاد بأنه مات مسموم.

- ربنا يوفقكم وتوصلوا للى عمل ده.

- عرفت منين انه بفعل فاعل؟.

- مش شرط أكون عارف، بس مجرد تخمين لإن فايز شخص عاقل ومعتقدش انه هيفكر يعمل كده في نفسه، بس.

- تمام، تقدر تتفضل دلوقتي ولما نوصل لحاجة هنبلغك.

* * *

قاطعه الدكتور عزت للمرة العاشرة تقريباً على التوالي مستفسراً:

- تفتكر الظابط صدّق؟.

- مش مهم يصدق، المهم إني كنت اطلع من هناك ساعتها بسرعة عشان اعمل آخر حاجة ناوي اعملها.

- هي ايه بقى؟.

رد ماجد بابتسامة ماكرة نوعاً ما قائلاً:

- إنى اجيلك.. عشان اقتلك.

رد عزت في فزع:

- تقتلنى انا؟ انت بتقول ايه؟.

مد الدكتور يده ليضرب الجرس الخاص بسكرتيرته (منى)، فأمسك ماجد بيده قائلا: " متتعبش نفسك " وأخرج هاتفه ليطلب رقماً ما، فتدخل (منى) قائلة لماجد " ايه التأخير ده يا حبيبي " فينظر الدكتور في دهشة غريبة، مُتعجباً لما يحدث.

أخذ ماجد دور السيناريست السينمائي وبدأ في حديثه قائلاً:

- طبعاً دلوقت انت مش فاهم في ايه، انا هشرحلك كل حاجة يا دكتور، اللى متعرفوش إن الشقة مش مسكونة ولا حاجة والكتاب اللى جابه فايز، انا اللى كنت سايبه مع صاحب المكتبة اللى جمب بيته، عشان عارف إن اول حاجة هيفكر فيها إنه يجيب كتب من دي لإنه كان مستني فرصة زي دي من زمان، والكتاب كان مضروب مش اصلي وانا اللي جبتله كل الطلبات اللي طلبها.

رد الدكتور في ذهول و كأنه لم يعِ تقريباً ما قيل له حتى الآن:

- طب والجن اللى كان واقف برة الشباك؟ والسواق؟.

أجاب ماجد في استخفاف:

- ولا جن ولا حاجة يا دكتور، عيب عليك، ده كان واحد صاحبي وكان واقف على سِلم خشب من برة، يسري، صاحبنا انت عارفه،وهو برضو اللى كان السواق، الموضوع بسيط جداً، جلابية سودة بكابيتشوو وشوية لعب بالإضاءة.

- طب والدكروري مين اللى كان دايس على رجله؟ وفايز إزاي مات مسموم؟.

- محدش داس على رجله أصلاً عشان زي ما قولتلك مفيش جن لإن الورق مضروب، ولا يحضّر أى حاجة خالص، هو اللي قتل نفسه لما الخوف اتملك منه، فاتهيأله إن حد دايس على رجله وماسك فى رقبته، وأصلا هو اللي كان ماسك فى رقبته بأيده، يعني هو اللي خنق نفسه.

فايز ده بقى كان لئيم وخبيث وغشيم، وانا مخافش فى حياتي غير من الغشيم، بعد ما خرج من عند الظابط، فتحت الريكورد لقيت الظابط بيحاول يوقعه فى الكلام،

وكان بغبائه هيقول على كل حاجة لولا الظابط مداسش عليه اوى، نسيت أقولك صحيح، اول مرة روحت للظابط المكتب كنت واخد معايا كاميرا تسجيل صغيرة جدا، وبما إني ليا خبرة إلى حد ما في التحنيط؛ روحت فكيت عين التعلب المتحنط وحطيت وراها الكاميرا عشان اسجّل بيها كل حرف بيتقال في الموضوع ده.

ولما عزمته عالعشا اخر مرة عندى حطيتله في الفراخ زرنيخ، بس هو ما اتوصاش وأكل الأكل كله من غير تفكير ولا حتى حس بطعم الأكل، مش بقولك طِفس، يلا يستاهل.

الدكتور: عملوا إيه لكل ده، انت مريض ومش طبيعي، انت يستحيل تكون طبيعي.

ابتسم ماجد ابتسامة بلهاء ثم قال: وهو انا لو كنت طبيعي كنت هاجيلك ليه؟ بس عموماً كل اللي عملوه انهم كانوا يقضوا ساعتين معايا وهزار وضحك وجدعنة فى أي حاجة، وباقي اليوم بيجيبوا سيرتي فى الجامعة وسط الناس، وانا بكره اللى بوشين، كان هيجرى ايه لو كانوا فضلوا للاخر

كويسين او مكملوش من الاول من غير لف ودوران او يجيبوا سيرتي كدة، والحاجة الالعن من كل ده ان فايز كان نفس فصيلة دم والدي، ولما احتاجته يتبرع بالدم لوالدي رفض بحجة انه بيتعب، وبعدها والدي مكملش اسبوع ومات، فايز كان غبي جدا، ساعة ما نقلنا جثة الدكروري مِسكه من ايده ورجله على طول، وانا من اول ما بدأنا موضوع التحضير ده وكنت لابس جونت طبي عشان البصمات.

اختلف معاك في حتة اني مريض بس اتفق معاك في حتة اني مش طبيعي، لان مفيش اي حد طبيعي هيفكر نفس التفكير ده، ذكائي مخطرش على بالك صح يا دكتور؟.

• مد ماجد يده إلى (منى) فأخرجت له من شنطتها مسدس بكاتم صوت، فنظر لها الدكتور فى دهشة بالغة قائلا: إنتي معاه يا منى؟.

منى: انا معاه من يوم ما جيت انت من بعثة ألمانيا.

ماجد: اه صحيح انا مش محترم زي ما فهمتك او زي ما الناس كانت فاكرة كدة، انا شقتي كل يوم بيكون فيها واحدة شِكل.

نظر فى عينيه نظرة ثاقبة وقال: ها يا دكتور فيه حاجة تاني تحب تعرفها؟.

هتقتلنى ليه؟ انا مأذتكش، بالعكس انا كنت عايز اساعدك.

انت اسمك ايه صحيح يا دكتور؟.

عزت والي.

شوفت بقى الصُدف، الظابط اللى كان بيحقق فى القضية اسمه عصام والي، هههه بالظبط هو اخوك.

طب هو أذاك فى ايه عشان تقتلني انا؟.

هو قدامه عشر دقايق ويجي هنا لانه خلاص عرف مكاني وجاي عشان يلحقك ويقتلني من غير تفكير، فلازم اسبقه، واللي متعرفوش ان اخر مرة روحتله المكتب كانت قبل ما اجيلك فى اول كشف هنا، وساعتها عرفت مين اقرب ناس ليه عشان كان فى بالي انه هيجيله يوم ويعرف اني انا القاتل، فلما اموت لازم اخد حد يخصه معايا، وبصراحة ملقتش اقرب منك ليه، لان على حسب معلوماتي هو لسة متجوزش، ودي الشطارة.

طب هو عرف منين؟.

للاسف عرف ان بسببي مات الدكروري وعرف ده من فايز، واني انا اللي قتلت فايز بس لما جابني مكتبه اخر مرة سابني عشان مكنش معاه أدلة كفاية، بس للاسف الخيانة كملتله الادلة.

• فى نفس اللحظة صوّب ماجد مسدسه نحو منى واخرج طلقة استقرت برأسها فقتلها فى الحال.

• نظر الدكتور إلى منى فى رعب، عَلِم ان دوره القادم لا محالة فالمكتب خالٍ من أى شئ سواه هو وماجد ولا يوجد ما يدافع به عن نفسه.

• نظر ماجد الى جثة منى قائلاً:

تخيّل يا دكتور انها كانت بتجيلي الشقة برضو، وكانت بتوصلّي كل اخبارك، وهيا اللى جمعتلي بيانات عن عصام بيه وعرِفت منها انه اخوك، تستاهل مش كدة؟... يلا هو صنف أعوج كله.

• لم يجد الدكتور حلاً اخر، فاتخذ سبيل المفاوضة.

طب هديك كل اللي انت عايزه بس بلاش قتل.

اللي انت متعرفوش كمان انى مش محتاج فلوس عارف ليه؟ لاني صاحب الشركة اللي انا بقول اني بشتغل فيها، شوفت بقى اني صايع؟.

• يجلس ماجد على الكرسي الهزاز المقابل لمكتب الدكتور عزت واضعاً قدماً فوق قدم ممسكاً بسلاحه ناظراً الى فوّهته قائلا:

عارف يا دكتور، عيبكم كدكاترة نفسيين إنكم فاكرين إن الكون كله مجانين وانتوا بس أعقل ناس، عارف مثلا هديك تشبيه بسيط، بتعاملونا كأننا فى حديقة حيوانات واحنا جوة القفص بنتنطط وأنتوا ياعيني طيبين جدا بترمولنا الأكل من ورا القُضبان، بس شوف ياخي الآية اتقلبت ازاي واللي جوة القفص ضحكوا على اللى براه وسرقوا منهم المفاتيح وحبسوهم جواه، بس عارف اللي زيكم يا دكتور سجنه مش قضبان وحديد، اللى زيك سجنه في عقله، بس انا بقى مش هرميلك الأكل لحد ما تموت بالبطئ لأ، انا همنع عنك الأكل خالص.

في نفس اللحظة يدخل الظابط عصام والي المكتب فيجد ماجد مُشهراً سلاحه في وجه الدكتور عزت ولا يفصل عنهما سوى حجم ريشة طائر.

-إرمي سلاحك يا ماجد، وسَلِم نفسك أحسن لك.

اخفض ماجد سلاحه في خضوع تام كأنه استسلم فعلياً، ليسمح بذلك للدكتور عزت ان يأخذ انفاسه، اغمض عينيه لثوان معدودة وتذكر فيها كل شئ حدث معه ومنه، اشتم رائحة يعرفها جيداً، كان قد اشتمها قبل ذلك عدة مرات، حين وفاة والده في غرفته على سريره وبين يديه، وحين مات الدكروري وعندما قَتل فايز ومنذ لحظات حين الحق بهم مُنى، تذكر والده عندما مَرِض ولم يستطع احداً انقاذه، ووالدته التي كان كل مناها ان تراه بعينها في لحظاتها الاخيرة، هو لم يتذكرهم فقط بل رآهم؛ وكأنهم بجواره في المكتب يمدون يدهم لاخذه بعيداً.

فتح عينيه مرة اخرى.

وبدون سابقة إنذار وفي سرعة رهيبة رفع مسدسه وأطلق رصاصة نحو قلب الدكتور عزت مباشرة فأرداه قتيلاً.

لم يتوان الظابط عصام في أن يُفرغ خزنة مسدسه بالكامل في جسد ماجد الذي استسلم كلياً ولم يقاوم، هو بالتأكيد يعلم انها اللحظة الاخيرة في حياته، لكن حتى في لحظاته الأخيرة فضّل ان يستمتع بها، حتى أنه وضع في خزنة سلاحه طلقتين فقط، واحدة للسكرتيرة وواحدة للدكتور.

سكون تام يحيط بالمكان بالكامل، وكأننا في مشهد سينمائي.

سقط ماجد على ركبتيه ينظر الى اماكن الطلقات بجسده ويعود بنظره الى الرائد عصام الذى ظل ناظراً اليه متعجباً من قوته وصلابته، حتى في اخر لحظات حياته لم يظهر عليه الضعف.

سقط بباقى جسده ووجهه مقابل للارض، وعندما اقترب منه الظابط وجد فى عينه دمعة واحدة مُعلقة على جفنه السُفلي، كأنها أبت ان تسقط امامه حتى لا تُظهر ضعفه.

لِم دائماً يأتي الندم في اخر لحظات الإنسان على كل ما اقترفه من ذنوب واخطاء، تُراها بلاهة من مخرجين السينما الذين يصورون القتيل يتذكر كل ما حدث معه

فى حياته وكأنه شريط مُسجل ويتم إعادته امام عينه.

حقيقةً، لم تتثنى لي الفرصة كي اخبرك ماذا يحدث عند خروج الروح بالتحديد، ذلك لأني لم أُجرب الموضوع بالتأكيد وإلا لما كانت ستصل إليك تلك القِصة، لكن من الواضح انه ظاهر أمامنا بالفعل.

غريب ذلك الضيف أليس كذلك؟.

يُجبرك على استضافته رُغماً عنك، وليس واجباً عليك ان تضيّفه فهو لا يطلب اكثر من روحك، وأظن أنا أيضاً أن لا شئ أغلى وأفضل من ذلك، كي تجود به عليه) الروح (ذلك الشئ الذى حُيّر العُلماء فى الوصول الى سِره برغم ما وصلت اليه التكنولوجيا من تطور رهيب ومخيف فى نفس الوقت، لكنها ستظل أبد الدهر سراً خالداً لم ولا ولن يعرفه أحداً قط.

من وجهة نظري التي اظن انها سوف تفيدك قليلاً، ان ماجد اخطأ حينما أجبر الموت على الحضور... فالموت لا يُجبر.

تَم إغلاق الثلاث قضايا نهائياً بعد مقتل الجاني الأساسي، وتم ترقية الرائد عصام والي وتم نقله إلى مديرية أمن الإسكندرية، لمتابعة قضية جديدة هناك.

• مـن الغبـاء أن تجعـل مـن نفسـك كرة مطاطيـة لتكـون لعبـة فـي أيـدي الناس.

• هناك شئ عظيم في عالمنا يُسمى بـ (الفرصة الثانية)، محظوظ أنت لو كنت من اصحاب الفُرص الثانية، و محظوظ أيضاً من تتيح له الحياة فرصة ثانية، خاصةً لو كانت تلك فرصته في الإنتقام من شخص ما، ما بالك لو كانت تلك الفرصة هي إنتقام شخصاً واحداً من مؤسسة كاملة بمفرده، ليس بالأمر الهيّن.. أعلم ذلك، ولكنه ليس أمراً مستحيلا يا صديقي، فلقد وهبك الله عقلاً لتفكر به، وانا ممن لا يؤيدون إستخدام ذلك العقل الا في الخير فقط، هل جربت استخدامه فى الشر قبل ذلك؟ لو كنت ممن اتيحت له الفرصة ولم يستغلّها، فتأكد بأنك قد ضاعت عليك فرصة عظيمة، فإن الشر أحياناً يكون له مذاق خاص، خصوصاً لو زُيّن بقليل من اللون الأحمر، ذلك اللون الجميل الذي لم أكن أتخيل ماذا كان

سوف يحدث للكون بدونه، هل سنعيش في سلام للأبد هكذا دون إراقة للدماء؟ أمر سخيف حقاً.

• لكن.. لك أن تتخيل معي منظراً للكرة الأرضية من الفضاء الخارجي، مُقسمة الى ثلاثة ألوان: الأخضر وهو لون الغابات، والازرق هو لون المحيطات، والأحمر هو ما يرمُز لوجود بشر في تلك المنطقة، في نهاية الزمان سوف تُصبح بلونين فقط، الاخضر والازرق، واختفاء اللون الأحمر تماماً، وذلك لانتهاء عصر البشرية بأكمله، لن أكذب عليك كنت أتمنى ان أكون اخر من يموت في هذا الكوكب البشع، حتى تتثنى لي الفرصة، بأن أدوّن ما سيحدث وقتها، أعلم بأنه لن يعود بالنفع على أحد، لأنه لن يكون هنالك أحد ليقرأ ما أكتب، ولكن ليس ذلك هو سبب شغفي لذلك اليوم، لأني تعوّدت على تدوين كل شئ أراه، ولكن من الدروس التى استفدتها من هذه الحياة، " ليس كل شئ يصلح للتدوين، بل من الأفضل ان

تستمتع بتلك اللحظة " وأنا أريد أن استمتع بتلك اللحظة حتة لو كانت الاخيرة لي.

• تخيل معي لثانيةً أنك اخر شخص على وجه الارض، والموت قد مُثِل فى جسد رجل قوي ليست له ملامح، وها هو قد أتى ليأخذ ما تبقى، وليتم عمله على أكمل وجه، لأنه مُكلف بذلك ولا يتصرف من رأسه، ولو الامر هكذا بتلك السهولة، لما كان قبض كل تلك الارواح... والان حان دورك، ماذا سوف تفعل؟.

• وما الذي سوف يجول بخاطرك وقتها؟.

• لو أُتيحت لك الفرصة، فأنصحك بأن لا تنظر في وجهه ابداً، بل اتركه يُنهي عمله في سلام.

* * *

هند محمد.. صحفية من جريدة الاخبار.

اهلا بحضرتك.

طبعا عارف إن كل الناس بتتكلم عنك، ومش عشان كدة بس قررت إني أسجل معاك، السبب الاول فضولي أعرف إنت مين وليه عملت كدة..... جاهز؟.

المهم تكوني إنتى جاهزة.

انت منين يا شيخ حسن؟.

ساكن في حارة قديمة في حي السيدة.

يعني اتولدت هناك؟.

آه بس اصول أبويا من المنصورة.

طيب تمام.

ايه الدوافع اللى خلتك تعمل كدة؟.

الانتقام.

بس؟.

اها.. انا مكنتش اعرف حد فيهم، ولا كان يربطني بيهم حاجة اصلا، بس اللي حصل معايا مكنش سهل.

كان ممكن تسيب القانون ياخد مجراه، والناس دي تتحاسب.

يبقى حقي هيضيع.

بس لو كل واحد عمل كدة هتبقى غابة.

هيا اصلا غابة، من وقت ما اللي عملوا القانون عملوه على مقاسهم، عشان يعرفوا يعيشوا من غير صداع، واحنا كنا بالنسبالهم الصداع.

كَمّل وبعدين؟.

* * *

• " الله اكبر الله اكبر ".

• كان ذلك صوت الاذان الذي استيقظ عليه الشيخ مأمون.

والذي يملك من العمر خمسون عاماً، يعمل إماماً لمسجد الحي.

مسجد الشهداء.

- كان متزوجاً ولديه إبن واحد فقط يدعى"حسن».

- كان يحبه جداً، ويهتم به كثيراً ولم يُرد ان ينقصه شئ من مأكل أو ملبس أو تعليم.

• كَبُر حسن وتربى على الأخلاق والفضيلة الحسنة، أودّعه والده واحداً من الكتاتيب التى كانت فى المنطقة آن ذاك، و كانت تلك الحِقبة تشهد إغتيالات وإعتقالات موسعة على مستوى الجمهورية لأعضاء تلك الجمعية.

• عُذراً.

لم أخبرك الى الآن بأن الشيخ مأمون كان المُنظِم الأول والمسئول عن جمعية (الحق أحق) والتى ذاع صيتها وتَوسّعت بشكل مثالى فى سنوات قليلة فى جميع المحافظات، وكانت تلك الجمعية ترعى الايتام وتنظر فى الخصومات بين الناس، وترد الظالم عن ظلمه وتُرجع للمظلوم حقه.

• تمُر الأيام ويكبر حسن ليكمل عامه العشرين، كان فى بيته وكان أبوه بالداخل يقرأ القرآن بصوت جميل، حتى سمع دق الباب.

صدق الله العظيم " إفتح يا حسن"!.

حسن: حاضر يابويا.

• يفتح حسن الباب ليجد أمامه شخص طويل أكتافه عريضة ويرتدى بَزَة عسكرية، ويحمل فى إحدى جنباته مسدساً.

سلام عليكم، الشيخ مأمون موجود.

• يظهر الشيخ مأمون من الخلف ليرد.

ولو مش موجود يا حضرة الظابط نوجده، إتفضل.

الظابط: تسلم يا شيخ.

• يُغلِق حسن الباب ولديه شكوك كثيرة واسألة لم يجد لها إجابات:

من هذا؟.

وما علاقته بأبيه؟.

وما سر زيارته المفاجئة تلك؟.

• يقطع شروده صوت أبيه وهو يطلب منه ان يأتى ليرى ماذا يشرب الضيف.

الشيخ: مينفعش طبعا لازم تشرب حاجة.

الظابط: اسمعني بس يا شيخ، انا جايلك فى كلمتين وماشي وملوش لازمة التعب خالص.

الشيخ: مينفعش تدخل بيت الشيخ مأمون ومتاخدش واجبك.

الظابط: ماشي قهوة زيادة.

-(قهوة زياة يا حسن (قالها الشيخ مأمون.

الظابط: نرجع لموضوعنا يا شيخ.

الشيخ: إتفضل.

إعتدل الظابط فى جلسته ونظر للشيخ مأمون يحدثه بصوت منخفض لهيبته قائلاً:

انا جايلك النهاردة بشكل وِدّي من غير عسكر ولا بوكس، وبطلب منك تسلِمني الشيخ رفعت من غير مقاومة من حد من أتباعكم، ها قوت أيه يا شيخ؟.

ينظر الشيخ مأمون ناحية الباب، فيجد خيالاً لحسن يظهر من خلف الباب، فيهم بأغلاقه حتى يستطيع الكلام بحرية.

-بص يا حضرت الظابط، الشيخ رفعت معملش حاجة عشان تقبض عليه، ولو كان عمل حاجة فعلاً انا كنت اول واحد هيسلمه لمركز الشرطة.

-الشيخ رفعت متهم في تفجير موكب رئيس الوزراء، وكمان الموضوع مش موضوع شرطة ياعم الشيخ، الموضوع دلوقت فى ايد أمن الدولة، وانت عارف انهم

مبيهزروش، ولو وقفت معاهم على واحد والقضية تكمل وتتقفل ومش قادرين يجيبوه، هيصفوه ويقفلوا القضية، ده الجهاز الوحيد في البلد اللي مبيغلبش ويقدر على أي حد.

-افهم من كده إن ده تهديد يا حضرة الظابط؟.

مش تهديد شخصي يا شيخ مأمون لان انت عارف اني مليش يد في الموضوع ده خالص، انا بس مجرد بنفذ أوامر مش أكتر.

ها قولت ايه؟.

اروح اشوفلك القهوة.

تبقى مصمم برضو يا شيخ، انا هستأذن، نشرب القهوة مرة تاني.

• هم الظابط (طارق البرديسي) بالذهاب فأمسكه الشيخ مأمون بيده، وقال له بـ نبرة تحذيرية " من غير دم".

• خرج الظابط من بيت الشيخ مأمون، فخرج حسن مسرعاً من المطبخ قائلا: ايه يابويا كان عايز ايه الظابط ده؟.

ليرد: كان جاي يسألني على حاجة ومشي يابني.

• لم يهدأ بال حسن ثانية واحدة فهب مسرعاً لينظر من الشرفة فوجد الظابط ينظر نظرة أخيرة على البيت قبل أن يذهب، نظر له حسن جيداً حتى حفظ شكله.

• ترك الشيخ مأمون منزله وذهب لمقابلة بعض جيرانه في المسجد المجاور لمنزله، للبحث في شئون عِدة.

-فضيلتك قولت إيه فى موضوع أم محمد الأرملة اللي في الشارع اللي ورانا؟.

-تروحلها بنفسك ياشيخ مصطفى، تديها الفلوس وشُنَط الأكل وتشوف لو عايزة أي طلبات تاني ترجع تكتبها وتقولي، وكل ده من عالباب طبعاً، في ايه تاني؟.

-أهالي القتلى والمصابين فى التفجير الأخير اللي حصل فى الكنيسة اللى بعدنا بشارعين، هنعمل معاهم ايه؟.

-زى ما إتعودنا ياشيخ مصطفى، هنقف معاهم طبعاً.

-يامولانا انا خايف يتقال علينا استغلاليين، او بنقتل القتيل ونمشي فى جنازته.

-إحنا مقتلناش حد ياشيخ مصطفى واللى يقول يقول، الناس مبتخلصش كلام، ولاخر مرة هقولك، إحنا بنعامل ربنا فمش هيفرق معانا كلام عباده، طول ماحنا فى الصح.

هتاخد جزء من الفلوس اللي فى خزنة الجمعية، وتشوف الناس دي عايزين ايه ومتتأخرش عنهم.

هقوم أنا عشان الحق العصر.

-طب وموضوع الشيخ رفعت يا مولانا؟.

ألتف بوجهه ممسكاً بالباب ليقول فى هدوء تام:

-متقلقش يا شيخ مصطفى، الشيخ رفعت مظلوم وان شاء الله محدش هيلمسه، سلام عليكم ورحمة الله.

-وعليكم السلام ورحمة الله يامولانا.

• كان الشيخ مأمون يمتلك لحية بيضاء كثيفة الشعر، وشعر اسود تسلل أليه البياض كـ لص بارع مع مرور السنين، كان له هيبة وكلمة مسموعة وسط شيوخ الجمعية التي يترأسها أو وسط جيرانه فى الحارة، نظراً لكِبر سِنه وحكمته العظيمة.

* * *

• بعد خمسة أيام، يجلس حسن في غرفة أبيه يقرأ من الكتب ويتنقل من كتاب لآخر في لهفة كبيرة، كطفل أُلقي فى بِركة من الالعاب ويريد ان يظفر بها كلها، كل ما يشغله أن يصبح مثل أبيه.

• كان يحب القراءة كثيراً، أكثر من أي شئ يشغل عقول من فى نفس سِنه، كان جسده قوياً يملك أكتافاً عريضة، أخذ من والده نفس نظراته الثاقبة.

• سمع صوت جلبة آتية من الشارع، فنظر ليجد الشارع ممتلئاً برجال الأمن وسياراتهم الضخمة، كأنهم أتوا لأحتلال الحَي، دقق النظر فوجده واقفاً، اليس ذلك نفس الشخص الذي زارهم منذ أيام قليلة؟ ماذا يفعل عند بيت الشيخ رفعت؟.

• وما هي إلا دقائق معدودة ووجد ثلاثة اشخاص ملثمين ويرتدون زياً مموّهاً يخرجون من بيت الشيخ رفعت وهو في يدهم مكبلاً بالأصفاد وينزف دماً من رأسه، كان الشارع ممتلئاً وصوت الناس مرتفع جداً والذي لا يَنُم إلا على الاعتراض على ما يحدث، حتى حضر الشيخ مأمون، ليقف محادثاً الظابط المسؤل عن إعتقال الشيخ رفعت، كان يُدعى الرائد (إسلام النجار).

خير يا حضرت الظابط؟.

خليك بعيد يا شيخ مأمون، الموضوع ميخصكش.

إزاى بقى؟، مفيش حد فى الحارة دي كلها ميخصنيش، كلهم أهلي ولا زم أهتم بأمرهم.

حلو جدا، اللى بتقول عليهم أهلك ياشيخ، فيه منهم واحد مُتهم بتفجير موكب رئيس الوزراء، ولما قبضنا عليه قاوم.... أيه رأيك؟.

أديك قولت متهم، والمتهم برئ حتى تثبُت إدانته، فملوش لازمة كل الهوجة دي، مش شايف ان كل العدد ده عشان تقبضوا على واحد كتير؟ أو تتعدوا عليه بالشكل ده.

خليك في حالك يا شيخ مأمون قولتلك.

• ينظر الشيخ مأمون الى الظابط طارق قائلا:

هو ده اللى اتفقنا عليه يا طارق بيه؟ مش قولنا من غير دم؟.

انا قولتلك مفيش في ايدي حاجة يا شيخ.

• يقطع حديثهم صوت الرائد (إسلام) قائلاً: إنت لسة شوفت دم يا شيخ مأمون، (قالها بنبرة يحتويها التهديد).

• أنفض الجمع بعد كلمة الرائد، وسط اندهاش البعض منهم ونظراتهم الموجهة للشيخ مأمون عما دار بينه وبين الرائد إسلام.

• مرت ثلاث سنوات على حادث إعتقال الشيخ رفعت، ولا يعرف احد مكانه الى الان، تقدم الشيخ مأمون فى العمر فأرسل ألى ابنه حسن والذي كان في الجمعية وقتها ليكمل ما بدأه أباه.

• دخل على أبيه غرفته، ليجده يرتدي ملابسه وينوي الخروج لأمر ما.

خير يا ابويا رايح فين؟.

عندي مشوار مهم يا حسن، الجمعية أمانة في ايدك، ومعاك عمك الشيخ مصطفى لو احتجت اي حاجة اسأله فيها، أوعاك تقصر مع الناس يا حسن، احنا بالناس ومنهم، خلي بالك من نفسك.

• بدى على كلام الشيخ مأمون انه ذاهب بلا رجعة، ولم يفهم حسن ما كان يقصده أبوه بالظبط، من شدة قلقه عليه لما بدر من حروفه المُقلقة.

• وصل الشيخ مصطفى الى شقة الشيخ مأمون ليأخذه ليتموا مشوارهم سوياً.

• نزلوا وتركوا حسن في حيرة بالغة، والذي لم يفسر أو يفهم معنى كلمات أبيه، واخذ يُحدّث نفسه: سحقاً لفرق العمر بيننا يا أبي، جعلني لا أميّز أو افهم ما تقول أو ماذا تنوي فعله.

• وصل الشيخان مع مجموعة من الشباب الى طريق خالٍ من البشر تماماً.

هو ده الطريق اللي هيعدوا عليه يا شيخ مصطفى؟.

اه هو يا مولانا.

طيب، زي ما فهمتكم مش عايزين نقتل او نأذي حد.

أوامرك يا مولانا.

على بركة الله.

• بعد دقيقتين يمر موكب شرطي وسيارة ترحيلات تحمل بداخلها الشيخ رفعت.

• يُخرج الظابط جهازاً لاسلكياً ليتواصل من خلاله مع غرفة العمليات طالباً تجهيز قوة دعم إحتياطية تتحرك فى حالة حدوث هجوم مفاجئ على الموكب و تجهيز سجن العقرب، ذلك السجن الذى أشتهر بشدة التأمين والتعذيب ايضاً.

• ينزل الشباب المرافقين للشيخ مأمون يحملون لوحاً كبيراً من الخشب يلقونه تحت السيارات الامامية فتنقلب السيارة المسؤلة عن تأمين سيارة الترحيلات لتفسح المجال للشيخين لتهريب الشيخ رفعت من سيارة الترحيلات، يذهب الشيخ مصطفى لسائق سيارة الترحيلات ناوياً قتله، فينهاه الشيخ مأمون عن فعلته قائلا:

من غير دم يا مصطفى.

• ينجح الشيخ مأمون في كسر القفل الموجود على باب سيارة الترحيلات مُخرجاً الشيخ رفعت، ضمه أليه بحضن دام لدقائق قليلة حتى أتى الشيخ مصطفى مسرعاً: يلا بينا بسرعة.

• لمح الشيخ مأمون الظابط الموجود بعربية التأمين يحرك يده فأقترب منه ليتأكد أنه حي، نهاه الشيخ مصطفى عما ينوي فعله عندما رأى سيارة شرطة مُصفحة قادمة لدعم الموكب، ألتف الشيخ مأمون ليكمل طريقه، ولكن ليس بعد، في نفس اللحظة أُطلقت رصاصة لم يُعرف من أي سلاح خرجت والتي استقرت فى ظهر الشيخ مأمون فوقع على الارض، هب الشيخان رفعت ومصطفى ليطمئنوا على الشيخ مأمون فأخذوه بعيداً عن مكان الحادث بأمتار، تفحص الشيخ مصطفى مكان الاصابة فوجدها غائرة واشتد منه النزيف حتى اغرق يديه.

الشيخ مصطفى: إحنا لازم ناخده عالمستشفى يا شيخ دلوقت.

الشيخ رفعت: مينفعش يا مصطفى ده طلق ميري، يعنى مش هنخلص، هنطلع بيه عالجمعية ونجيبله دكتور هناك.

• ذهبوا به الى الجمعية فى هدوء، أرسل الشيخ رفعت الى حسن لرؤية أبيه حسب طلبه.

• دخل حسن على ابيه فوجده ممدداً على الفراش غارقاً فى دمه، فنزل على ركبتيه ممسكاً بيده.

ايه اللى حصل يابويا؟ مين اللى ضرب عليك نار؟ قولى وانا اجيبلك حقك.

ملكش دعوة انت بالموضوع ده خالص واسمعني كويس، زى ما وصيتك يا حسن الجمعية وأهل المنطقة فى رقبتك، متأذيش حد وبلاش دم بلاش دم يا حسن، والملف ده تاخده وترجع بيه عالبلد تسلمه للكبير هناك اياً كان مين.

- كانت تلك اخر كلمات الشيخ مأمون قبل ان يلفظ أنفاسه الاخيرة، تاركاً خلفه حسن ابنه الوحيد، والذى خانته دموعه للمرة الاولى في حياته، نظر أليه الشيخ رفعت فوجده يمسح دموعه ويقف في شموخ ويقول لهم بهدوء بنبرة رجل قوي:

انا عايز أعرف اللي حصل بالظبط ومين اللي قتل ابويا.

* * *

• مرت سنوات عِدة على مقتل الشيخ مأمون، تغير فيها الكثير والكثير، وكان حسن، أقصد الشيخ حسن مأمون والذي طاله التغيير ايضاً، قد ترك كل شئ وتفرغ للجمعية تماماً إعمالاً بوصية والده، كانت له الكلمة العليا رغم صِغر سنه ليس لأنه ابن مؤسس الجمعية، بل لما ورثه من حِكمة وحِنكة ودهاء يجعله أفضل من يرأسها.

• هَم الشيخ حسن للذهاب لصلاة الظهر، وبعد عودته عَلِم من الاخبار عن مقتل نائب رئيس الوزراء.

• كان دائماً يرتدي جلباب أبيض وشال أبيض ولديه لحية طويلة تكاد تصل ألى منتصف صدره، وكان يشبه والده حتى انه اذا رآه اصحاب الحَي ظنوا ان أبيه على قيد الحياة.

• وصل الشيخ رفعت الى مقر الجمعية بناءًا على طلب الشيخ حسن، فرأى شباباً يخرجون من باب المقر، يراهم لأول مرة، لم يكن يعرفهم من الاساس، فساورته الشكوك حتى سأل الشيخ حسن إن كان يعرفهم ام لا.

مين دول يا حسن يا ابني؟ وايه علاقتهم بالجمعية؟.

دول اخوة من جمعية تاني يا شيخ رفعت، خلينا فى المهم، خلصت كل اللى طلبته منك؟.

اه طبعاً، بس انا مش مرتاح للشباب دول يا حسن.

مش مهم، المهم دلوقت هتسافر مع الشيخ مصطفى لشمال سيناء فيه حاجات معينة هتنفذوها هناك وتيجوا على طول، انا مبلّغ الشيخ ابو زياد بالتفاصيل وهو هيفهمكم، فى رعاية الله.

* * *

• كان معروفاً عنه تدينه الشديد، وسماحته التى ظهرت على وجهه، وكان محبوباً من جميع جيرانه، متعاوناً ويخدم الجميع ولا يتوان ثانية عن تقديم المعروف.

• يقع منزل الشيخ حسن في حي أثري قديم، قُرب مسجد السيدة زينب، ذلك المكان الذي عندما تدخله لن تطاوعك قدمك للخروج منه، عجباً لمن كانوا فى هذا الحي، من أين أتوا بهذا القدر الهائل من الجمال المعماري

العظيم، اظن انهم لو ظلوا لعصرنا هذا، لماتوا حسرة على ما سيرونه من العشوائية في البناء والتصميمات التقليدية للمنازل، ولبكوا على ما فعله أحفادهم في تراثهم العظيم.

• حزن حُزناً شديداً حينما احترقت كنيسة خلف منزله بشارعين اثر انفجار انبوبة والتي أُصيب على اثرها مائة شخص وتوفى ثمانية وعشرون..لكنه لم يُبد حزنه أمام أحد حتى لايظهر بمظهر سئ أمام الناس، أو يظن أحد أنه شامتاً ويقوم بالتمثيل أمام الناس، ويظل بهيبته فى عيونهم.

• مساء نفس اليوم توجهت حملة أمنية من قوات الأمن الوطني وذلك للقبض على الشيخ حسن.

أرى فى عينيك الان شغف القارئ المتشوق، الذى يريد أن يعرف قصة ذلك الشاب، أرجو الا تَمِل من طريقة سردي للأحداث، فأنا لا أجيد الحديث بلغتكم جيداً، لا تندهش هكذا، ستعرف في النهاية من أكون.

* * *

تمام يا فندم، جاتلنا إخبارية إن الشيخ رفعت موجود فى قرية العوايدة.

تمام، هتكلم المقدم صلاح وخليه يستعد بالتحرك وقت وصول الاشارة.

تمام يا فندم.

• العميد) خالد رجائي) المسئول عن الحركة الامنية فى شمال سيناء، ايضا عن اعطاء اوامر التحرك فى إحباط عمليات تهريب الاسلحة والمخدرات عن طريق الحدود.

• العقيد (مجدى العسّال) قام بالقبض على العديد من القادة المؤسسين للحركات الجهادية، والذى تم نقله الى سيناء دليلا على كفائته بعد القبض على قيادي كبير في القاهرة.

خالد: عارف يا مجدي، لو قدرنا نِحبط العملية دي هتبقى خبطة معلِم بجد.

مجدي: إن شاء الله يا فندم، بس انا فيه حاجة مخوفاني.

خالد: هههه انت كل عملية كبيرة كدة يا مجدي.

مجدي: انا خايف سعادتك تكون دي حركة.

خالد: حركة ازاي يا مجدي اتكلم؟.

مجدي: اقصد يعني تكون العملية دى مجرد تمويه عن عملية كبيرة بتحصل في مكان تاني، يعني يبعتونا كلنا بكل قواتنا هنا عشان نركز فى العملية دي وهما بالايد التانية بينفذوا عملية اكبر بكتير.

خالد: لو معندكش دليل ملموس على كلامك يبقى متتكلمش.

مجدي: يافندم.

خالد: اسمع يا مجدي، العملية دي مش صغيرة وفاضل لنا خطوات ونوصلهم، دى شُحنة سلاح يامجدي، ركز شوية..سلام.

يغادر العميد خالد رجائي مبنى مديرية الامن متجهاً الى سيارته، وحينما فتح الباب وجد ورقة بيضاء كانت تحتوي على كلمتين فقط (حاول تهرب).

• يُخرج هاتفه المحمول، يتصل بالعقيد مجدي ليخبره عما حدث.

: أيوة يا مجدي ده اللى حصل، تروح بنفسك وتجيب الشيخ رفعت وتحقق معاه بخصوص الشحنة، وتبلغنى بأى جديد ومتتحركش ولا تتصرف من دماغك.

* * *

قطاع الأمن الوطني - القاهرة / غرفة التحقيقات

حضرتك انا بقالى خمس ايام مقبوض عليا ومعرفش ليه، ممكن اعرف السبب؟.

هتعرف..هتعرف ياروح أمك متستعجلش؛

قالها الرائد (أكرم داغر) المسئول عن التحقيق مع الشيخ حسن.

-انت كنت فين بقى وقت وقوع انفجار الكنيسة؟.

-كنت بصلّي المغرب ورايح عالجمعية.

-اها.. في حد كان معاك؟.

-اه..الشيخ رفعت.

-حلو اوي... الشيخ رفعت ده اللي انت بعته شمال سينا صح؟.

-ايوة هو.

-بعته يعمل ايه؟.

-أبداً حضرتك، احنا بنتعامل مع جميع المحافظات ولينا نشاطات في كل حتة.

-اها، نشاطات تخريبية وارهابية طبعاً.

-اعوذ بالله يا باشا، احنا مشهود لينا بالخير من جميع الناس، وتقدر تسأل بنفسك بنعمل ايه بالظبط.

-لا انا بسألك انت بتعملوا ايه فى الجمعية دي؟..وايه اللى خلاك تبعت الشيخ رفعت لشمال سينا؟.

-بعد المشاكل اللي بتحصل هناك، واللي اتسببت بقتل ناس كتير، خَلِت عالاقل فى كل بيت قتيل، كان لازم نتحرك ونساعد الناس دي سواء بفلوس او بأكل أو تأمين سكن للى بيته اتهد، فكان لازم ابعت الشيخ رفعت لهناك لانه من المسئولين فى الجمعية وهيعرف يتصرف ويخلص كل احتياجاتهم.

-بس كدة؟..يعني مفيش سبب تاني؟.

-لا حضرتك وتقدر تتأكد بنفسك.

-لا مانا أتأكدت من قبل ما تقولّي وحياتك.. حظك انك مفيش حاجة عليك، بس معلش هتبات الليلة كمان معانا لحد ما يطلع امر بإخلاء سبيلك.

-مش هتفرق من ليلة، الحق بَيّن.

-هههههه اه مانا واخد بالي يا حيلتها، مش انت حيلتها برضو؟.

-بس مش هتبات فى الزنزانة للاسف، هيبات معاك عسكري حلو كدة هيفضفض معاك بكلمتين، مينفعش تخرج كدة من غير ما تاخد واجبك.

-هههههه مش هتفرق كتير، طالما هخرج.

يخرج الرائد أكرم داغر ليدخل الغرفة شخص ضخم جدا، ويمسك بيده سوط كبير وقطعة قماش سوداء لوضعها على عينه، يمسك بالشيخ حسن من يده ويذهب به لغرفة مجاورة.

غرفة التعذيب: من الغُرف التى لا أنصح فضولك بالإقتراب منها ليس خوفاً عليك، وانما لما سيلاحقك من أذى نفسي قبل الاذى الجسدي، جميع أنواع التعذيب الغير آدمي، تلك الغرفة التي لا يستطيع أحد الوصول أليها، سواء جمعيات حقوق الانسان او غيرها، ذلك

المكان الذي اذا قُدّر لك ان تدخله فتأكد أنك لن تخرج منه حياً، واذا حدث وذلك بالتأكيد إما عن طريق الخطأ أو عن طريق الصُدفة، فتأكد أنك قد كُتب لك عُمر جديد يبدأ من وقت خروجك منها.

• ليلة واحدة كانت كفيلة بأن تجعل منه شخصاً آخر، لكنه الصمود.. والذي جعله يتحامل على نفسه ليكمل ما بدأه، أو على الاقل يخرج من هذا المكان حياً.

***

غرفة العمليات – شمال سيناء

تمام يافندم قبضنا على الشيخ رفعت، وللاسف مكنتش عملية زي ما المصدر بتاعنا قال.

امال كانت ايه؟.

كل اللى مسكناه معاهم كان شنط أكل وبطاطين رايحة لاهل سينا.

يعني ايه، امال السلاح فين؟.

من الواضح يا فندم حاجة مالاتنين، يا اما زي ما قولت لحضرتك قبل كدة ده تمويه لعملية اكبر، يا اما الناس دي ملهاش في السلاح اصلاً.

انا عايز احقق من الشيخ رفعت بنفسي، جهزوه.

* * *

• يدخل العميد خالد رجائي على الشيخ رفعت، ليبدأ معه التحقيق.

- ها يا شيخ رفعت، تقدر تقولّي كنت بتعمل ايه هنا؟.

أكيد اللى تبعك قالولك يابيه.

- لا سيبك من اللي قالهولي يا راجل، انا عايز اسمع منك.

مش هتفرق كتير طول مالاجابة واحدة.

- معلش تعالى على نفسك.

كنا بنقدم مساعدات من الجمعية لاهالينا في سينا.

- مساعدات بس؟.

تقصد ايه؟.

- يعني مكانتش عملية استلام سلاح؟.

اعوذ بالله يا بيه، إحنا جمعية خيرية ملناش في الدم، اللى تقصدهم دول جماعات جهادية، واحنا جمعية مش جماعة، وخيرية مش جهادية.

- امم... طب هسألك سؤال شخصي.

إتفضل.

- الورقة دي لقيتها في عربيتي من يومين وانا خارج من هنا، تقدر بخبرتك تقولي مين ممكن يحطلي ورقة زي دي؟.

ممكن حد بيكرهك مثلا، او ليه عداوة شخصية معاك، او حد بيحبك جدا وعرف ان حواليك خطر فحب يحذرك.

- صح.. انت صح ياشيخ رفعت، بس مين ياترى ليه عداوة معايا مثلاااا؟.

يمكن حد من الجماعات الجهادية، عشان بسم الله ماشاء الله شايف شغلك معاهم.

- ممكن برضو... طب نتعامل معاهم إزاي لو عندك فكرة قول احنا بندردش سوا؟.

الجماعات اللى زي كدة هتستفرد بيك لو لوحدك.

- لوحدي ازاي؟.

يعنى لما تكون بتشتغل لوحدك، هتكون بالنسبالهم صيد سهل، حتى لو وراك كتيبة تحميك، اعذرني يعني.. ديتك طلقة يضربها اصغر عيل عندهم...دول ضرب النار بالنسبالهم زى الهوا بالنسبالنا.

- أممم.... ومبقاش لوحدي إزاي بقى؟.

ممكن مثلا تسيب النوع ده من القضايا خالص وتطلب نقلك للقاهرة شغلها هادي ومفهوش مشاكل.

- مش انا اللي أهرب يا رفعت.

كدة مفيش حل غير المواجهة، ودي تحصل بأنك تشوف اكتر الظباط كفائة في نفس القطاع اللي بتشتغل فيه وتعملوا تنظيم صغير عشان تقضوا عليهم وساعتها مظنش انهم هيقدروا عليكم، عشان هتكونوا كذا ايد، والجماعات دي زي الفيران مش هتعرف تمسكهم بأيد واحدة.

يمسك العميد الشيخ رفعت من ذقنه بطريقة مُشينة قائلا:

- تصدق حلوة الفكرة، اول مرة اعرف انكم بتفكروا كدة، هجيلك تانى، عشان انتا هتطوّل معانا هنا.

ليرد الشيخ بأبتسامة ماكرة.

مستنيك.. مستنيك ياباشا.

* * *

• يدخل العميد خالد رجائى على العقيد مجدي العسّال ويأمره بأختيار اكفأ الظباط فى القطاع.

يافندم ده متهم، وهارب من تنفيذ حكم فى قضية قديمة، واللي حضرتك بتعمله ده يعتبر تجنيد متهم هارب من العدالة، من امتا بناخد بكلام متهمين؟.

المتهم اللى مش عاجبك ده جابلنا فكرة كانت تايهة عن بالنا، نفذ اللى بقولهولك يا مجدي بالحرف.

حاضر يا فندم.

• فى اليوم التالي يقوم العميد خالد رجائي بأجتماع طارئ لمن تم اختياره من قِبل العقيد مجدي وهُم:

- العقيد مجدي العسّال.
- الرائد أكرم داغر.
- الرائد إسلام النجار.
- الرائد كمال الفيومي.

النهاردة يا رجالة جمعتكم عشان تعرفوا انكم داخلين على ايام مش هتشوفوا فيها النوم، أنا قررت اعمل

تنظيم صغير وانا هرأسه واختياركم للتواجد في التنظيم ده مجاش من فراغ، ده علشان كفائتكم وتفانيكم في العمل، احنا الخمسة مش اول مرة نشتغل مع بعض، عايزكم تفتكروا عملية تهريب الشيخ رفعت، واللي كان بيهربوا الشيخ مأمون، طبعا فاكرينه.

• ليرددوا في صوت واحد (إحنا تحت امرك يا فندم).

سيادة العقيد هيوزع عليكم نشرة فيها اسامي وصور القادة والمنظمين للحركات الجهادية واللي بيقوموا بأستلام وانهاء صفقات السلاح اللي جاية من برة عايزكم تركزوا عشان نخلص من الصداع ده ومتقلقوش، خالد رجائي مبينساش رجالته، المطلوب منكم قبل ما نقبض عليهم وده الاهم، إن مفيش حد برة الاوضة دي يعرف أي حاجة عن الكلام ده، لحد ما العملية تخلص، مفهوم يا رجالة.

مفهوم يا فندم.

* * *

• كانت الحارة تعج بأهلها وقت وصول الشيخ حسن أليها، نساء ورجال، حتى الاطفال انتابتهم الفرحة حينما رأوه اخيراً، لم يرد ان يستريح، بل ذهب الى الجمعية ليتم ما بدأه من رعاية شئون الناس كما وصّاه والده، وحين وصل رن جرس الهاتف، أخبره المتصل بأمر الشيخ رفعت وما حدث معه، الامر الذي جعله يحزن ولكنه بادر بأكمال شئونه عِلماً منه بأن الشيخ برئ من التهم المنسوبة أليه.

• تغيّر الشيخ حسن بعد مقتل ابيه والان بعد خروجه من المعتقل، بالرغم من انه لم يكمل شهراً واحداً بالداخل، لكنهما قد تركا أو كسرا بداخله شئ ما... الا وهو كرامته.

• من الغباء ان تجعل من نفسك كرة مطاطية لتكون لعبة في ايدي الناس.

• يجلس العميد خالد رجائي على مكتبه، يرن هاتفه المحمول مخبرا عن وصول رسالة من رقم خاص كان مفادها.

(اللعبة بدأت).

الأمر الذى جعله يشعر بالقلق حيال تلك الرسالة انها لم تظهر برقم المُرسل.

قام مفزوعاً حين رن الهاتف من رقم الرائد أكرم داغر، ولكن ليس هذا صوت أكرم، حدّثه قائلاً: حاول تلحقه.

• هرع الى مكتب العقيد مجدي العسّال ليخبره بما حدث ويتواصل بالرائد أكرم للاطمئنان عليه، ولكنهم لم يستطيعوا الوصول اليه...حتى جاء الرائد اسلام النجار بعد ساعتين بوجه عبوس يُنبأ عن خبر سئ.

لقينا جثة الرائد أكرم مدبوح وراسه متعلقه على باب شقته يا فندم.

إنت بتقول ايه؟.

• يقف العميد خالد رجائي غاضبا مما سمعه للتو، ويأمر العقيد مجدي العسّال بتولّي تلك القضية بنفسه.

هدّى نفسك يا فندم، ان شاء الله هنوصل للى عمل كدة فى اقرب وقت.

مفيش حاجة اسمها هنوصل، متورينيش وشك غير لما تجيبهولي راكع يا ماجد، يعنى ايه ظابط أمن دولة يحصل فيه كدة.

• يغادر العميد مكتبه بوجه غاضب منفعل لما حدث مع واحد من رجاله، يركب سيارته ذاهباً لمنزله بعد يوم عمل شاق، يصل الى البيت ليجد على باب شقته ورقة كُتب عليها (إسلام النجار)، يعاود طريقه مُسرعاً ذاهباً لمنزل الرائد اسلام النجار لعله يستطيع انقاذه، وعندما يصل الى بيته ليدق جرس الباب.

سيادة العميد بنفسه منورني، ايه الزيارة المفاجأة دي نورتني جدا يا فندم اتفضل.

انت كويس يا اسلام؟.

خير يا فندم انا الحمد لله، زي الفل بعد ما شوفت حضرتك.

طيب متطلعش من البيت النهاردة، وانا هرن عليك افهمك، خلي بالك من نفسك..يلا سلام.

طب يا فندم اتفضل اشرب حاجة.

بكرة بدري متتأخرش.

• يعطي العميد ظهره لاسلام تاركاً الفضول يبدوا على ملامحه، ذاهباً لسيارته وما هي الا ثوان معدودة حتى انفجر بيت الرائد اسلام النجار ولم يتبقى فيه شئ سليم.

• ينظر الى ما حدث في ذهول تام غير مصدق، ما الذى يحدث ومن هذا اللعين الذي يلعب معه تلك اللعبة القذرة، يُمسك رأسه غير مصدق وهو ينظر الى جثة الرائد

اسلام وهي متفحمة تماماً ولا يظهر منها شئ، فى هذه اللحظة يُخرج هاتفه ليتصل بالاسعاف فيجد نفس الرقم يتصل به، وحين فتح الخط ليبدأ فى سبه وجده يضحك فى برود تام قائلا:

(قولتلك اللعبة بدأت، حاول تلحق اللي باقي منهم).

ورحمة امي لاجيبك واخليك تتمنى الموت ومتطولهوش يا كلب.

• أغلق الخط، وطلب رقم العقيد مجدي يأمره بالحضور الى مكتبه غدا ومعه من تبقى من مجموعتهم السرية.

* * *

حرماً يا حسن يابني.

جمعاً ان شاء الله يا عم الحج مصطفى.

طمني عليك، ايه مقربتش تتجوز، بدل القعدة لوحدك كدة.

هههه فيه حاجات اهم من الجواز يا عم مصطفى.

بس الجواز نص الدين، ومش انا اللي هقولك يا شيخ حسن.

اكيد، بس خدمة الناس اهم، استأذنك عشان ورايا مشوار مهم.

ربنا يكرمك يابني.

• يغادر الشيخ حسن الشارع المقيم به مُتجهاً الى الجمعية ليجد بأنتظاره بعض الشباب الذين كانوا يأتون كل اول شهر ليقوم بتقسيم المال عليهم ليقـوموا بدورهم بتوزيعه على دور الايتام والمسنين.

مش كتير ولا حاجة يا علي، فيه ناس مش لاقيه خالص، والفلوس دي مش بتاعتنا، دى مبعوتة للناس فتطلع للناس، ربنا يقدركم على فعل الخير.

واياك يا شيخ حسن، احنا هنقوم دلوقت عشان نلحق نخلص المشاوير بدري بدري.... سلام عليكم.

* * *

مش عارف انا الاسبوع ده هيخلص على ايه.

معلش يا حبيبي روّق بس وان شاء الله هتوصلو للحيوان ده انت بس خلى بالك من نفسك.

دماغي هتنفجر من التفكير يا اياس حاسس انه قرّب منى وانه قاصدنى انا بكل ده، وهموت واعرف هو مين.

ثوانى يا حبيبي ارد عالموبايل.

ايوة مين؟.

اه اهو معاك.

خد يا حبيبي حد عايزك.

(كدة فاضل مجدي وكمال، فاضلّك نص ساعة).

انت مين يا حيوان؟ ووصلت لرقم مراتي ازاي؟ الله فى سماه هتلمس شعرة من مراتي وعيالي هدبحك بأيدي.

(فاضل 29 دقيقة).

• يُغلق العميد خالد الخط وعلى وجهه غضب شديد، يأخذ مفاتيح سيارته ويذهب لانقاذ مجدي، وحين يصل الى بيته لم يجده، يقوم بالاتصال به فلا يجيب، فيقرر الذهاب لبيت الرائد كمال الفيومي وحين يصل يجد العقيد مجدي والرائد كمال على الارض غارقين فى دمائهم.

• ينظر لهم فى حسرة واضعاً يده على رأسه لا يدري ماذا يفعل يطلب الاسعاف وينتظر حتى تأتي،أم يطلب قوة أمنية، وحين يتم التحقيق معه ما الذي سوف يقوله حينها، لذلك قرر الاتصال بالشرطة من رقم غريب كأنه احد جيران كمال الفيومي وسمع صوت إطلاق نار.

• من هذا اللعين؟ وما الخطأ الذى اقترفه معه حتى يجعله ينتقم منه بتلك الوحشية، حين فكر في الامر وصل الى شئ واحد وهو، لم يتبقى من التنظيم سواه، فهل يأتي دوره؟.

• حين وصل الى بيته وضع هاتفه بجواره حتى سمع صوت هاتفه يخبره برسالة جديدة حين فتحها وجد فيها (أتأخرت للاسف، كدة فاضل واحد).

* * *

• بعد ايام من التحقيق والذى لم يصلوا فيه الى الجاني الفعلي، خرج من غرفة التحقيق كأنه كان خلف القضبان وحصل على البراءة، بعد كل هذا العمر فى المجال الشرطي يقف عند هذا القاتل ولا يستطيع الاتيان به، هل هو شخص واحد ام منظمة جهادية عملها اغتيال القادة والظباط، خرج عليه وكيل النيابة المختص بالتحقيق فى القضية ليحادثه: حضرتك واضح انك تعبان ممكن تروح ترتاحلك يومين وبعدين تنزل الشغل.

ليجيب:

مفيش حل غير كدة.

• بعد شهرين من الحادث يدخل الظابط طارق على العميد خالد رجائي فى مكتبه ليخبره بأخر التطورات التي وصل اليها في القضية، وان المعمل الجنائي قد وصل الى بصمات الفاعل وبعد البحث والتدقيق تَبيّن انها بصمات الشيخ حسن.

حضرتك الدكتور ابراهيم مجاهد الطبيب الشرعي بعتلنا التقرير الخاص بالقضية وعرفنا مين صاحب البصمات، انا مستني يطلع أمر بالقبض على المتهم حسن مأمون.

اعتبره طلع يا طارق بس المهم تجيبه من غير شوشرة، احنا مش ناقصين، عايز الموضوع يمشي عالهادي عشان الجرايد والصحف مش هتسيبنا فى حالنا.

تمام يا فندم.

• صبيحة اليوم التالي يتم القبض على الشيخ حسن مأمون، جميع من كانوا يشهدون واقعة القبض عليه كانوا

يعلمون تمام العلم ان هذه المرة بلا رجعة، ولكنهم كانوا غير مُصدقين لما يحدث او لما سمعوه.

• تم ترقية طارق البرديسي الى رتبة رائد بعدما نجح في القبض على الشيخ حسن والذي اعترف اثناء التحقيقات انه المخطط والمنفذ لكل ما حدث.

• بعد شهرين كان ميعاد الحكم على الشيخ حسن فى القضية التى حازت على حيز كبير من بال الرأي العام عن غيرها من القضايا، والتى بدورها أثبتت بأن أجهزة الامن في الدولة تعمل على قدم وساق لحماية المدنين.

* * *

قاعة المحكمة- القاهرة

مش مصدق إن أخيرا الولد ده هيتحاكم، كان عاملي صداع فى راسي مكنتش هخف منه حتى لو عملت ايه.

احنا رجالتك يا باشا.

عفارم عليك يا طارق انت مجتهد وشاطر فى شغلك ولو استمريت عالاداء ده والتركيز ده هتوصل لمكان حلو فى شغلنا وقريب.

• يدخل الحاجب لقاعة المحكمة لينادي بصوته الجَهور.

(محكمة (فيدخل من خلفه القضاة بأوشحتهم المعروفة، وتبدأ الجلسة.

بعد الاطلاع على الاوراق الخاصة بقضية المتهم حسن مأمون، وإثبات تورطه بشكل كامل في مقتل السادة الظباط وهم.. الرائد أكرم داغر والرائد اسلام النجار، قررنا نحن عدالة المحكمة أولا:

إحالة أوراق المُتهم حسن مأمون لفضيلة المفتي.

ثانياً: تأجيل الحُكم على المُتهم رفعت السلاموني الى جلسة عشرين يناير القادم، رُفعت الجلسة.

* * *

شوفتي الموضوع سهل إزاي.

يعني ايه؟.

فى دعاء بيقول اللّٰهُمَّ اضرب الظالمين بالظالمين، ده اللى انا عملته.

بس ازاي وانت كنت مسجون؟.

صحيح السجن سوره عالى، بس عارفة، هما عمالين يعلّوا فى اسوار السجون ونسيوا يلجّموا الافكار، او نسيوا ان الافكار ليها جناحات وانها بتطير.

وعملت ده ازاي؟.

هما كانوا عايزين يوصلوا لحد كبير فى البلد عشان يحطوه ضمن قايمة الجماعات ويبقوا حققوا انتصار عظيم فى القضية دي، ويبقوا حُماة السلام محاربين الارهاب والكلام ده كله، وانا بعتلهم اكتر حد بيحبوه... الشيخ رفعت.

بس انت كدة سلمته تسليم اهالي.

انا كنت قاصد من الناحيتين، اولا اني انتقم من الشيخ رفعت لانه كان سبب من اسباب قتل ابويا والناحية التانية اني كنت عارف انه هيخرج بمجرد قتل الخمسة بتوع التنظيم لان من حظه اوراقه كلها كانت مع العميد خالد رجائي فبمجرد موته هيبقى برئ ومفيش عليه قضية واحدة، لانها كانت ماشية من تحت الترابيزة بمعنى ان كان فيه مصالح مشتركة بين الاتنين والاتنين بيخافوا من بعض.

وهتستفيد ايه لما واحد من رجالتك يتحبس وانت في احتياجك ليهم؟.

تقدري تسميه طُعم، وكنت بقرص ودنه برضو وبفهمه اني اقدر احبسه واطلعه وانا برة الموضوع اصلا.

تقدر تقولي طُعم ازاي؟.

يعني انا اللى بعته سينا، وانا اللى كنت عامل المصدر بتاع الداخلية فى سينا وكان بيوصلهم اللى انا عايزه يوصل

بس، ومن ضمنهم موضوع عملية استلام السلاح دي واللى بسببها اتقبض عليه، ومكانش فيه لا سلاح ولا غيره.

تقصد تقول انك كنت قاصد توصله ليهم؟ طب ليه.

عشان يقولهم على فكرة التنظيم، فبطبيعة الحال العميد خالد رجائي هيختار احسن ظباط عنده واللي اختارهم برضو قبل كدة فى عملية لقتل الشيخ رفعت وابويا عشان اشتبهوا فيهم بس والعملية فشلت ساعتها، بس نجحوا بعدها يقتلوا ابويا، وانا مكنتش اعرف مين بالظبط اللي قتله، بس عرفت بطريقتي انه تنظيم سري وكان فاضل اعرف اساميهم واحد واحد عشان اعرف انتقم بطريقتي..مشكلتهم انهم بيفكروا بنفس الطريقة حتى لو فات عليها سنين، وده اللي سهّل عليا المشوار.

كان فيه حد بيساعدك؟.

منهم فيهم.

ازاي؟؟.

الجزء ده ميتكتبش ولا تسجليه، دى مني ليكي وعلشان متخلفيش بوعدي معاه ويتأذي.

متقلقش.

اللى كان بيخلَص لي 50 ٪ من اللى بعمله واحد منهم، ظابط اسمه طارق البرديسي.

مش طارق ده اللي جه لابوك قبل كدة البيت؟.

بالظبط، بعد ما ابويا اتقتل لقيته بعتلي عايز يقابلني مقابلة خاصة، فى المقابلة دي عرفت منه ابويا مات ازاي ومين اللى كان موجود منهم ساعة ما اتقتل، بس كان ناقصني طبعا اعرف مين اللى ضرب النار عليه، لما كان بيكلمني.. طريقته نفسها كان فيها غِل اول ما يسمع اسمين معينين – خالد رجائي و أكرم داغر، اللى فهمته من كلامه ان خالد رجائي كان سبب فى ان اكرم داغر يترقى على حسابه عشان أكرم يبقى جوز بنت خالد، وده اللى سَبّب جواه الكره ناحيتهم، وخلاه يفكر فى الانتقام بمجرد ما لقى ايد تنفذ ويكون هو بعيد عن العين.

طب مخوفتش تتكشف مثلا.

الخوف مكنش اني اتكشف، الخوف فى اني اتكشف فى الوقت اللى انا مش عايزه.

يعنى انت كنت عارف انهم هيقبضوا عليك؟.

اكيد، الناس دي مبتهزرش، وانا كنت عامل حساب كل حاجة بالظبط، لدرجة اني كنت عارف الوقت اللي كانوا هيقبضوا عليا فيه وكنت بلاعبهم بنفس اسلوبهم عشان كدة متوقعوش يكون العيب من وسطهم.

طب مهربتش ليه؟.

اللى بيهرب ده بيهرب عشان حاجتين.

يا إما خايف، يا إما عامل حاجة غلط..وانا لا كنت خايف ولا عامل حاجة غلط، انا كنت باخد حقي من اللي قتلوا ابويا.

اللى عرفته انك اتقبض عليك من غير مقاومة خالص.

صح، عشان ده كان من ضمن اتفاقي مع الظابط طارق انه لما يساعدني فى كل ده هخليه يقبض عليا بنفسه ويبقى هو قدامهم اللى قفل القضية وعرف يجيبني، وبكدة ياخد حقه من الناحيتين.

ياخد الترقية اللي حرموه منها وكانت من حقه، ويقتل اللى ظلموه، وبعدين يعمل اخر حاجة كلفته بيها.

وقتلتوهم ازاي؟.

قصدك قتلوهم ازاي...الموضوع كان سهل جدا، طارق كان ليه علاقة بعيل من بتوع الهاكر، الواد ده قدر بطريقته يدخل على الحساب البنكي للعقيد مجدي العسّال ويحول كل فلوسه لحساب الرائد كمال الفيومي تحويل رسمي جدا وكأن صاحبه هو اللي محول الفلوس دي، بطبيعة الحال لما راح العقيد مجدي يسحب فلوس، عرف ان الفلوس اتحولِت لحساب كمال الفيومي، وقتها خليت طارق يتصل بيه كأنه بيسلم عليه عادي، راح قاله عاللي حصل معاه.

وطبعا طارق قاله انه يعمل محضر؟.

لا، طارق قاله العَملة دي مش اي حد يعملها وان اكيد كمال الفيومى هو اللى حوِل الفلوس لحسابه خصوصاً بعد المشادة الكلامية اللى حصلت بينهم فى اخر اجتماع فى الوزارة، وطبعا انا اللي خليته يقول كدة.

وبعدين؟.

العقيد مجدي العسّال مكدّبش خبر، بعدها بساعتين خد عربيته وطلع بيها على شقة الرائد كمال واللي كان وقتها وحده.

ليه مكانش متجوز؟.

لا كان متجوز بس بَعت مراته وعياله مع السواق بتاعه لبيت ابوه بعد مكالمة من طارق قاله فيها ان العقيد مجدي رايح يقتله بدون تفاهم، طبعا ده خلى كمال الفيومي يتعصب ويجهز سلاحه.

وبعدين؟.

مجدي العسال وصل شقة كمال ولقي بابها مفتوح، دخل بكل هدوء وهو ماسك سلاحه مستني يلمح كمال عشان يقتله، كمال ظهرله وهو بيجري فى الصالة عشان يشتته، راح مجدي ضرب عليه طلقة جت في رجله وقعته، لما مجدي راحله وهو بيضحك وبيستفزه انه عرف يصيبه وانه خلاص هيقتله، راح كمال فجأة طلع سلاحه وضرب طلقة جت في قلب العقيد مجدي مات في الحال.

طب وكمال..! معلوماتي بتقول انه هو التاني مات؟.

الطلقة اللى ضربها مجدي جت فى وتر مهم فى رجل كمال واللي خلته يفضل ينزف لفترة لحد ما صِفي خالص ومات.

يعنى انت كدة قتلت الاربعة وفاضل واحد؟.

لا انا مقتلتش حد.

ازاي؟ طب واسلام وأكرم؟.

انتي اللي مسألتنيش عليهم، أكرم زى ما قولتلك كان متجوز بنت العميد خالد رجائي واترقى بدال طارق، فكان فيه دافع فى ايد طارق للانتقام منه، بس مش هو اللي قتله، هو عَلّق راسه على باب شقته بس.

امال مين اللي قتل؟.

الشيخ مصطفى.

يااااااه الشيخ مصطفى اللي كان مع ابوك فى الاول.

اها، الشيخ مصطفى كان ليه ابن فى كلية هندسة، اتقبض عليه واتحط فى المعتقل واتعذب لحد ما استلموه جثة ملهاش ملامح، واللي قبض عليه الرائد أكرم داغر واللي كان بيعذبه الرائد اسلام النجار هو هو اللي قبض عالشيخ رفعت زمان، ده اللى خلاه حب ينتقم ومحبش يضيع الفرصة اللى عرضتها عليه، فقتل أكرم وهو اللي حط القنبلة فى بيت اسلام النجار.

يعنى انت عايز تقولي انك كنت حاسب كل ده؟.

بالظبط...انا مسبتش حاجة للصدفة، والدليل على كدة اني عملت كل اللى انا عايزه من غير ما المس حد، يعني الموضوع كان لعبة بسيطة جدا.

انا حبيت انتقم، بس قبل ما اتحرك فكرت مين تاني ليه خصومة معاهم عشان هما اللي ينفذوا مش انا، هما كانوا عضلات وكان ناقصهم المخ، وانا وفرتلهم ده، يعنى كأني بلعب ماريونيت، وهما كانوا الخيوط اللى بحركها عشان اوصل للعرايس اللي في يالعرض.

مشكلة أي حد بيتمسك في اي قضية انه مبيفكرش فى كل خطوة بيعملها، الصح بقى انه قبل ما ينزل من باب بيته لتنفيذ اي حاجة يحسب حتى خطواته اللي بيمشيها عالارض.

طب والداخلية، ازاي متحركتش فى الموضوع ده؟.

الداخلية ما هي الا عصاية فى ايد اي نظام يمسك البلد عمرك شوفتي عصاية بتعترض عاللي ماسكها؟

وكمان الداخلية من الاساس مكنش ليها دور فى القضية دي، لانها من الاول فى ايد امن الدولة، تخيلي بقى إن أمن الدولة مكنتش قادرة تمسك الفاعل، ما بالك بقى لو كانت الداخلية مسكت القضية؟ كارثة مش كدة؟ عيب مبارك انه ساب كل حاجة للي تحته لحد ما غرقوه، كل المؤسسات دي هتقوم تاني وهتشوف شغلها لو النظام ده اتغير.

واتمسكت ازاي، او وصلولك ازاي؟.

ابدا كنت مفهّم طارق بعد كل عملية تحصل يدخل يحط بصماتي على اى حاجة قريبة من الجثث ولو قدر يحطها على اداة الجريمة يحطها.

بالسهولة دي؟ انت كنت قاصد يجيبوك بقى.

انا مش فارق معايا، لاني كنت خلاص عملت اللى انا عايزه فاضل الراس الكبيرة فيهم.

وانت شايف العيب في مين؟.

العيب في الاشخاص مش في المنظمة، العيب انك تجيبي كذا مدير لادارة منظومة واحدة والكذا مدير دول بيفكروا بنفس النظام وبيمشوا على نفس الطريق اللي مشوا فيه اللي قبلهم.

بمعنى؟.

المنهجية.. الروتين القاتل لاي بلد، واللي خلى بلدنا في النازل، الناس بتستهون بالموضوع ده او بمعنى اصح بتستسهل عشان التجديد بقى صعب، مع ان التجديد ده هو اللي هيوصلهم لاي حاجة عايزينها لكن عيبهم إنهم مش عايزين يتعبوا أو حتى يتعبوا في التفكير.

طب كدة فاضل العميد خالد رجائي يعنى يعتبر مكملتش اللي بدأته زي مانت عايز؟.

مانا عارف.... فيه حاجات يا استاذة مش شرط نكملها احنا، يعني مش شرط كل حاجة تعمليها بنفسك، طالما الفكرة موجودة هيجي غيرك وهيكملها، وفيه ناس كل دورها

فى الحياة تكمل مشوار ناس تاني، والفكرة كانت موجودة ومازالت، وجه اوان اللي هيكملها، لسة فيه تار أخير مجاش وقته.

(الزيارة إنتهت).

بعد إذنك يا أستاذة.. واه صحيح، إبقي تابعي الاخبار اليومين الجايين عشان تكمّلي مقالِك.

* * *

ها يا شيخ حسن جاهز؟.

ايه خلاص؟.

للأسف.

طيب إسمحلي أتوضى واصلي ركعتين.

اكيد طبعا، زي ما تحب..إتفضل.

• فَرِغ الشيخ من صلاته ورفع يديه للدعاء، لعله ينجو، أو بحسب إعتقاده.

• تقدم اليه اللواء خالد رجائي الموجود في ساحة الإعدام والذي تم ترقيته إثر تلك القضية، وعلى شفتيه شبح إبتسامة ظهرت عندما رآه راكعاً على الارض في يدي أثنين من الجنود الاشداء وهو يردد الشهادة.

• تتجه الكاميرا إلى اليسار قليلا فنجد مفتي الجمهورية يتأهب لسؤاله السؤال الاخير، هل تريد شيئاً آخر؟.

فيرد.. رضا ربي والجنة.

• فيضحك اللواء ضحكة بصوت مستفز قائلا: مش قولتلك.

هجيبك، شوفت بقى انك غبي ومعملتش حساب اليوم ده.

• فى هذه اللحظة ينظر الى اللواء نظرة ثاقبة وهو يبتسم كأنه منتصر فيزيد من استفزاز اللواء مما جعله يسأله:

فيه حاجة اخيرة هتقولها؟.

• فيجيب:

بشكرك مُقدماً على حضور عزايا، وانك هتكمل اللي انا بدأته.

***

• تم تنفيذ حُكم الاعدام في الشيخ الحسن مأمون، واقيمت له جنازة كبيرة في نفس الحي الذى يقطن فيه، وحضر الجنازة اللواء خالد رجائي، والذى لم يحضر لقيامه بالواجب، بل حضر شماتة، وبناء على كلام الرائد طارق البرديسي الذى أشار عليه بالحضور حتى لا يظن احدا انه لديه خصومة شخصية مع الشيخ حسن.

بعد إذنك يا خالد بيه أستأذن حضرتك هجيب سجاير وجاي.

خالد رجائي: ماشي يا طارق روح بس متتأخرش عشان نمشي سوا.

- كانت الصحفية هند محمد في مقر الجريدة حين علمت بخبر مقتل لواء كبير في أمن الدولة، وحين فتحت التلفاز قرأت ذلك الخبر: مقتل اللواء خالد رجائي فى ظروف غامضة اثر اصابته بطلق نار في الرأس، وبعد البحث تبيّن ان القاتل اطلق الرصاصة من على مسافة كبيرة تُقدر بخمسة وعشرين متراً، الامر الذي يعني انها اطلقت من بندقية قناص، الجدير بالذكر ان اللواء خالد رجائي قُتل اثناء تأديته واجب العزاء في جنازة المتهم والمحكوم عليه بالاعدام الشيخ حسن مأمون.

• ضربت على كفيها في استغراب قائلةً:

يابن الأيه حتى وانت ميت عملت اللي في دماغك.

(لا يُخدع)

من الخطأ احياناً ان تتدخل فيما لا يعنيك

* * *

15 / 10 / 2010

المكان:

• غُــرفة مُظلمة.. مكتب وُضِع عليه روايات وكتب عِلمية. مروحة سقف تدور في ملل كأنها تتمنى ان تسقط على مالكها.

الزمان:

• في تمام الحادية عشر صباحاً.

• يتغير إتجاه الكاميرا الآن فنجد شخص مُمدد على الارض ويبدو على ملامحه التعب الشديد نتيجة لقلة النوم أوبسبب سهرة حافلة بصحبة التبغ وورق البفرة.

• مالِك.. صاحب الاثنين وعشرون عاماً طوله لا يتعدى مائة وثمانون سنتي، ذقن شبابية.. شعر طويل

ناعم.. كان وسيماً في نظر اي شخص يراه، ملابسه توحي بأنه شخص لا يتحمل مسؤلية تماماً، كان لا ينتهي من نظرات الناس له بسهولة.

• عُرف عنه في الآونة الأخيرة انه يأتي بصديقاته الإناث الى شقته، وانت تعلم بالتأكيد معنى أن يُقال عليك كلام من هذا القبيل وانت في مجتمع شرقي.

• هو كان لا دينياً يعترف فقط بوجود آله ويعبده، ولكنه لم يكن يعترف بالاديان، كان يعتقد من وجهة نظره أنها من صُنع البشر وانها ما هي الا قوانين وضعها الكهنة والقساوسة والشيوخ لحفظ مكانتهم العظيمة بين الناس، وتأكد له ذلك حين سمعهم يأمرون الناس بالزُهد والبُعد عن ملذّات الحياة وأن متاع الاخرة هو الاعظم وبالطبع هو الأمل المنشود، في نفس الوقت هم يرتدون ثياباً باهظة الثمن ويقودون سيارات.

فارهة، لم هذا التناقض الغريب؟.

اليس المتقربون الى الله سِراً أحق بهذا الثراء الفاحش؟.

• ألم تكن بطون الاطفال والأمهات الثكالى أولَى بأشهى المأكولات التي يتم وضعها فوق منضدة تشمل كِبار القادة وكِبار رجال الاديان كنوع من تهدئة النفوس المشتعلة بين أطياف البلد الواحد؟.. هم لا يقلوا حماقة عن غيرهم.. سُحقاً للجميع.

• ظَل مالِك في تلك التساؤلات كثيراً حتى قطع تفكيره صوت تليفونه المحمول.

فـــرد بنبرة هادئة:

" حاضر.. حاضر زي ما اتفقنا على ميعادنا اه..سلام".

• يتجه الى المطبخ ليُعِد فِنجاناً من القهوة كي يحرق معها سيجارة جديدة يُضيفُها الى اخوتها ليُـتِم حصيلة اليوم ويُسكِت صُداعه النصفي.

• عظيم ذلك الاختراع أعلم هذا.

تأتى اليه مُحملاً بهموم الدنيا والاخرة، ولن يتأخر في أن يحمل عنك همومك، السجائر، ذلك الشر الجميل، لو ان لي سلطة فى هذا العالم، لكنت أهديت صانعها جائزة عظيمة، تُرى ماذا حدث له في حياته حتى يأت لنا بهذا القدر الهائل من الهدوء والطمأنينة وراحة البال، تتمثل في شئ بحجم الاصبع.

• يذهب في تمام الساعة الثامنة متأخراً كعادته وتقابله كالعادة بوجه باسِم:

•"ازيك يا ندى.

- الحمد لله.. انت عامل ايه؟ ".

• اعتَـذِر عن المقاطعة لكن لكي لا ننسى.

ندى.. صديقة مالِك من نفس عمره والتي تحبه وتتمنى له الخير.. تتحدث عنه مع صديقاتها وتحمر وجنتيها حين تراه.

مالِك: انا بخير.. ايه بقالك يومين مش بتيجي الشقة ليه ولا زعلتي من اخر مرة؟.

ندى: لا عادي بس كل القصة اني مش عايزة الفت الانظار وانت عارف الناس وكلامها ومش هنخلص.. واديك شوفت من اخر مرة لما صوتنا عِلي.. الست جارتكم طِلعت بَصِت من البلكونة وفِضلِت متابعانا.

مالِك: بصي..لا دي اول ولا اخر مرة صوتنا يعلّى فيها وكمان محدش ليه حاجة عندنا إحنا احرار.. ها أحرار.

ندى: طيب خلاص هعدي عليك بكرة بعد الكورس.

مالِك: تمام يا جميل.. بس متـتقليش عليا بعد كدة عشان انتي عارفة مبقعدش مع حد غيرك من ساعتها.

ندى: وانا عيني ليك وخلاص متفكرش فـ الموضوع تاني بقى، ها خرجت امبارح فين.. اعترف؟.

مالِك: مفيش خرجت مع صحابي.

ندى: حلو جدا.. اخيراً، مالِك بيه الكئيب خرج من اوضته.

مالِك: ياريتنى ما خرجت.

ندى: ليه يا عبلة كامل أفندي؟.

مالِك: ابدا حصل موقف غريب كدة، هبقى أقولك عليه بعدين.

ندى: ماشي.. خلينا ف المهم.. عملت ايه ف موضوع الشغل؟.

مالِك: اهو مفيش جديد.. زي كل مرة بصحى بدري وبستحمى و بروح الانتريو ويقولولي سيب رقمك و هنتصل بيك وهما اصلا من الاول رقمي معاهم فى الـ CV يعني لو مش عايزيني معاهم يقولوا بالمرة ملهاش لازمة الحوارات.

بس عارفة ايه اكتر حاجة مضايقاني في ده كله؟.

ندى: ايه يا مالِك؟.

مالِك: انى استحميت عالفاضي.

ندى: عارف بقى ان دي اكتر حاجة عايزة اشكرهم عليها فعلا.

مالِك: هههههههه مع ان المفروض تكوني اتعودتي على كدة يابنتي انتي على طول معايا.

ندى: ماشى ياخويا ماشي هعديها..انا لازم اقوم دلوقت يلا بقى عشان متأخرش عالبيت.. اسيبك..لما توصل طمني عليك.

مالِك: ماشي.. متنسيش ميعادنا بكرة.. باي.

مالِك: باي.

• ظل يرمقها بعينه حتى إختفت عن ناظريه، أخذ اشيائه وانصرف الى المنزل.

• فى طريقه الى شقته قابل جاره مصطفى الذي كان مقارباً لنفس سِنه فسأله عن والده لانه كان قد عَلِم

من احدى جيرانه انه كان بالمستشفى وخرج.. فأخبره انه توفى.

انت بتقول ايه؟ عم رضوان!.

حصل امتا؟.

* * *

• لثوانٍ معدودة.. اسودّت الرؤية فى نظره حينما سمع الخبر وتذكر موقف ما قد حدث معه.. ثم لم يشعر بنفسه الا وهو يمسح دمعته من على خده.. فعزّاه وذهب.

وعينيه لم تفارقهما الدموع لحظة حتى وصل لشقته.

- اغلق بابه وجلس على كرسى مقابل للمكتب وهو يبكي بشدة ويسأل نفسه.

- ما كل هذا الهراء.. من اي شئ خُلقت يا مَوت؟.

- ولِم لا تُحسِن الاختيار؟.

- لماذا تترك الاغبياء والظالمين والباغيين فى الارض فساداً وتختار فقط من نحبهم ونتعلق بِهم؟.

- والى متى ستظل هكذا؟.

- هل تروق لك دموع الاطفال والامهات؟.

- انى أكرهُك واكره رائحتك واكره تجولك فوق رؤس ضحاياك واكره نظرتك لهم بعدما تأخذ ارواحهم.. اتظن نفسك قوياً؟.

هذه ليست قوة إنما هو غدر بَيّن.

أخذ يفكر كثيراً حتى راح في نومة عميقة من أثر التعب.

* * *

"معرفش يا حبيبتي بس أكيد الأوردر إتبعت غلط حصل خير يعنى".

مالِك.. مش وقتك خالص انا مش عارفة إنت بارد ازاي كدة.. انا بقالى اسبوع بعتالهم التصميم ده وقالوا هيتنفذ فى يومين ويتبعت ف يوم واحد يعني اتأخر وكمان اتبعتلى تصميم تاني.. شركة متخلفة صحيح.. انا مش هتعامل معاهم تاني.

• خلاص يا حبيبتي مش مهم ننزل النهاردة ونختار فستان غيره كدة كدة فاضل شهر ونص عالفرح الدنيا مطارتش يعني.. روّقي كدة بس وان شاء الله كل حاجة هتتعدِل.

- طيب.. ماشي اللي تشوفه.. مش ناوي تيجي معايا برضو.

• مانتى عارفة يا حبيبتي النهاردة ماتش الاهلي ومينفعش يتفوّت.

- طيب خلاص انا فى الشارع هاحجز الكوافير وهخلص وارن عليك.

•ماشى يا جميل.. انا فاضي ولو احتجتى اى حاجة كلميني بحبك.

- وانا كما.

حاسسسسسسسسسسسب.

(صوت ارتطام سيارة بقوة).

الووو.. سارة.. فى اييييييييه الووووووو.

* * *

الوو.. ايوة يا ندى.. محتاجك ضروري النهاردة.

ندى: فى ايه قلقتني.. عمّال ترن عليا من بدري طمني.

حلِمت بيها.

ندى: نفس الحِلم؟.

مالِك: آه.. وصحيت مفزوع.

ندى: كدة مش هينفع يا مالِك.. لازم تتصرف وتخرج من اللي انت فيه عشان تعرف تعيش حياتك عالاقل.. ربنا خلق النسيان عشان ننسى الحاجات اللي بتضايقنا.

مالِك: واضح يا ندى انه اتخلق للناس كلها واتمنع عني عشان اتعذب كل يوم بذنبها.

انا بحلم بيها كل ما حد يموت..هقفل انا دلوقت معلش عشان تعبان شوية.

ندى: طيب وانا ساعة واعدي عليك.

• انهت ما يشغلها وذهبت الى مالِك في ميعادها، وقص عليها ما حدث معه ليلة البارحة مع اصدقائه.

14 / 10 / 2010.

• اغلق مالِك الخط واخذ حمّاماً سريعاً ونزل لمقابلة اصدقائه.

وصل الى المقهى فوجدهم في إنتظاره/ علي وعاصم ومؤمن.

• هم اشد الاصدقاء قُربة لمالِك، او بمعنى ادَق.. ما تركته له الدنيا بعد ما اخذت اعز ما لديه.

• تناقشوا جميعاً في اخر مشاجرة بينهم والتي كانت بسبب ما آلت اليه الدولة في الآونة الأخيرة من إراقة للدماء، والفقر والبطالة الشديدين، والذين سببوا غضب المؤيد قبل المُعارض.

• عاصِم كان من ضمن المؤيدين للنظام الحاكم، ومؤمن كان ساخطاً وغاضباً عليهم.

ويتمنى زوالهم من على وجه الارض وليس الحكم فقط.

• ومالِك كان لا يحب السياسة من الاساس، رغم كونه اكثرهم عِلماً وثقافة وقراءة ومتابعة لكل جديد، لكنه لم يحب ان يتطرق الى تلك المهاترات (من وجهة نظره).

اثناء الحديث سأل عاصِم مالِك " عملت ايه ف موضوع الرواية؟».

مالِك: لسة مكتبتش فيها حرف بس النية موجودة، وكمان انا مش فاضي اديك شايف.

عاصم: اه فعلا من الشركة للمصنع للمكتب بالليل الله يعينك.

مالِك: انت بتتريق؟.

عاصم: انت بتسأل؟ احنا من ساعة ما قعدنا ماعملتش حاجة غير انك بتلف سيجارة وحتى ف البيت نفس الكلام.. انتا بتحب السجاير اكتر من أي حاجة تقريباً.

مؤمن: يابني سيبه براحته.. هو بيستلف منك!.

عاصم: لا بس الكسل ده وحش.. ولحد النهاردة معملش حاجة من اللي كان نفسه فيها، حتى الرواية محطش فيها حرف.

مالِك: يابني انا لازم اظبط دماغي عشان تديني احلى شغل.

عاصم: لا انت زي الفل.. اهم حاجة النية فعلا.

(وضحكوا جميعاً).

• فى نفس الوقت ظل علي شارداً لبضع لحظات فلفت بشروده نظر مالِك) والذي كان مشغولاً في إتقان عمله الذى يحبه (سيجارة لف أشعلها بعدما قبّلها ثم نظر إلى على وسأله عما يشغله فرد عليه ببرود تام.

علي: أبويا عنده جلسة كيماوي الصبح.

مالِك: طب وفيها ايه يا ابني وايه المشكلة؟.

علي: ان مفيش جديد يا مالِك!.. بالعكس بيتعب اكتر ومفيش تَحَسُّن، والدكتور قالي لازم يعمل اشعة جديدة عالمخ عشان نشوف الورم وصل للمخ ولا لسة، عشان لو وصل هتبقى دي المرحلة الاخيرة، وكمان قصة اني الابن الوحيد دي تاعباني جدا، كان نفسي يكونلي اخ يشيل معايا، الحِمل تقيل عليا جداً، قالها ونظر الى الارض في أسى.

انتبه عاصم ومؤمن لما يقال.. لِما بدا من حُزن لم يلحظوه قبل ذلك في نبرة صوت عَـلي فتناوبوا الصمت احتراماً لمشاعره.

حتى قال مؤمن: معلش يا علي ربنا يشفيه إن شاء الله ويقومه بالسلامة، كل ده بسبب مبارك والامراض اللي دخلت البلد بسببه، يلا ربنا يريحنا منه قريب.

فرد عليه عاصم بضحكة يملؤها سخرية واستهزاء.

فأنتفض فيهم مالِك صارخاً: انتوا ايه؟ مفيش عندكم دم خالص.

ليه كل حاجة مُصرين تقلبوها سياسة بالشكل ده، الراجل بيتكلم وبيفضفض معانا، متخلهوش يكره اليوم اللي فكر يتكلم فيه معاكم.

• قام علي واستأذن لينصرف واخذ معه دموعه خلف نظارته.

"معلش هقوم انا عشان أصحى بدري انزل معاه الجلسة.. دعواتكم ".

• فى نفس الوقت مر عليهم رجل ظهر عليه من ملامحه ومن ملابسه القديمة والمُهترئة أنه من الشحاذين المارة.. فوضع مالِك يده فى جيبه واخرج بِضع العُملات المعدنية ووضعها في يدِ العجوز.. فهب فيه بنبرة حادة قائلا جملة واحدة " الموت لا يُخدع ".

• القى الرجل الغريب هذه الجملة وذهب، واخذ معه تفكير مالِك الذي انشغل معه طويلا فقاطعه عاصم قائلا " مالَـك يابني "؟.

ابداً.. الراجل ده مش مريحني خالص وحاسس اني شوفته قبل كدة، ده غير كلامه اللي قاله حالاً.

ياعم ده مجنون.. حد ياخد على كلام واحد زي ده؟.

مش عارف بس مش مرتاحله.. واشمعنى احنا بالذات دوناً عن كل الناس دي اللي عالقهوة؟.

اكيد لَف على كل الناس ياعم مش احنا بس.. قوم نروّح متشغلش بالك كتير انت مش ناقص.

أنهوا جلستهم جميعاً وهمّوا بالانصراف.

كانت ليلة طويلة على مالِك، الذى ظل باله مشغولاً بذلك الرجل الغريب واخذ يسأل نفسه.

لماذا نحن بالتحديد؟.

لماذا نظر في وجهى بهذه الجدية كأنه يحذرني من شئ ما؟.

وأخذ يحاول ان يتذكر اين رآه قبل ذلك، لكن الذاكرة لم تسعفه قط.

جلس على سريره ثم نام واضعا رأسه بين ركبتيه كالجنين النائم في بطن أمه.

وتذكرها.. ثم أغمض عينيه.

كانت من نفس سِنّه، قصيرة الى حد ما شعرها منسدل الى منتصف ظهرها، عيناها بُنيّتان وبأمكانها ان تُفقدك عقلك لو رأيت عينيها تحت ضوء الشمس، مثلما فُتن بها.

، كانوا فى نفس المدرسة الثانوية ومعهم ندى وعلى وعاصم ومؤمن، وكانوا لا يفترقون ابدا حتى تاريخ معين..... والذي تغير بسببه كل شئ.

* * *

صباح يوم 25 / 8 / 2008.

يقف مالِك بجوار الاتوبيس ممسكاً امتعته وينتظرهم، حتى رآهم قد اقتربوا منه.

ندى: احسن حاجة فيك ان موعيدك مظبوطة يا مالِك.

سارة: طبعا يابنتي ودي يعني حاجة جديدة عليه.

ثم سمعوا جلبة اتية من بعيد فَتَيقّنوا تماماً انها من على وعاصم ومؤمن.

ركبوا جميعاً وتحرك بهم الاتوبيس الى الفيوم، في رحلة مدتها يومين.

كان بصُحبتهم ايضا والد علي، وعم رضوان جار مالِك الذى يحبه كثيراً.

ثم دار بينهم الحديث التالي:

مالِك: بص يا عاصم انت ومؤمن اول ما هنوصل هتنزلوا شُنط البنات وانا وعلي هنغيّر هدومنا ونستناكم تحت عشان ننزل نلف شوية الاول وبعدين نرجع عالغدا.

مؤمن: قول إن شاء الله الاول بس.

كانوا قد أوشكوا على الوصول بسلام وكان لا يفصلهم عن الفندق سوى أن يعبروا الجسر المقام من فوق المياة

والذي كان على ارتفاع شاهق.. ولكن القدر كان له كلمة أخرى، بدون سابقة إنذار انفجرت عجلة امامية من عجلات الاتوبيس، فاختل توازن السائق ففلتت من يده عجلة القيادة، لحسن الحظ امسك بها مالِك وثَبَتّها قبل فوات الاوان، ثم ضغط على المكابح بسرعة رهيبة فتوقف الاتوبيس، نظروا من الشبابيك الجانبية فوجدوا انهم كانوا على وشك أن يسقطوا ف المياه، نزلوا واحداً تِلو الاخر بهدوء.. ولحسن الحظ نجوا جميعاً ولم يصابوا سوى بجروح بسيطة، فى سابقة غريبة من نوعها.. ولكن.. لم يكن ذلك هو الغريب.

شئ واحد هو ما كان يشغل مالِك وهو.

• حدثت الحادثة في وقت مقارب لمنتصف الليل، و هذا الجسر بالتحديد في جميع ارجاء المحافظة هو جسر عمومي وحيوي ومهم لانه يربط المدينة بمُدن اخرى، والغريب ان وقت وقوع الحادثة لم يكن الجسر عليه

احد سوى ذلك الاتوبيس الذي ينقلهم، الشئ الاغرب والذي جن جنون مالِك هو ان برغم ذلك الظلام الدامس وخلو الجسر من أي شئ تدُب فيه الروح.. وجده واقفاً.

• شخص لا يظهر من ملابسه ولا ملامحه شئ سوى انه شئ مخيف لونه أسود ولا يظهر منه فى الظلام سوى بياض عينيه اللامعتين بشدة، واللاتي كانا موجهتان الى عين مالك مباشرة.. والذي كان يتابعهم بكل برود رغم خطورة الموقف، نظر اليهم في نظرة أخيرة والقى على مالك نظرة من نوع خاص ثم ادار وجهه ومشى.. حتى اختفى.

• انتهى اليوم على خير مع الجميع، سوى مالِك، والذى لم ينِم لمدة يومين من شدة التفكير فى ذلك الرجل الغريب، لاحظ عم رضوان شروده فتوجه اليه ليتحدث معه.

عم رضوان: انت مش عاجبني من ساعة ما جينا الفيوم.

مالِك: سلامتك يا عم رضوان انا بخير.

عم رضوان: ايه اللي شاغلك.

مالِك: الراجل اللي كان واقف عالجسر يوم الحادثة فاكره ياعم رضوان؟.

عم رضوان: ماله يعني؟.

مالِك: كان بيبصلي بصات غريبة بعد ما لحقت الاتوبيس.. كأنه مش عايزني اعمل كدة.

عم رضوان: هههههه مين قال كدة، هوعشان كان باصصلك وهو متضايق يبقى زي ما بتقول كدة، مش شرط يا ابني ممكن يكون معاه مشاكل خاصة بيه وكان متضايق.

مالِك: ممكن برضو على رأيك.

عم رضوان: طب قوم يابني اخرج مع صحابك وفرفش كدة ومتشغلش بالك بحاجة ومتنساش تكلم اهلك في البلد تتطمن عليهم.

* * *

الساعة الان الرابعة فجراً ليوم 20 / 10 / 2010.

مالِك مُلقى على الارض كعادته، يرن هاتفه المحمول كأنه ينبأ عن كارثة قادمة، يرد مالِك بصوت خامل: ايوة مين معايا؟.

ايه؟ علي مين.. فى ايه.. اهدى بس.

حصل امتى الكلام ده؟.

طب ماشي انا جايلك عالبيت دلوقت.

اتصل بندى ليخبرها ما حدث.

مالِك: ايوة يا ندى ابو علي صاحبنا اتوفى، هنزل الجنازة وارجع اكلمك.

نزل مالِك بأسرع ما يمكن ليلحق بهم، وحينما وصل وجدهم امام المنزل ينتحبون جميعاً وفى المنتصف علي لم تبتل عينه بدمعة واحدة كأنه غير مُدرك او مُصدِق لما حدث، خصوصاً انه الابن الوحيد ووالدته متوفية، ووالده في خصومة مع اخوته، فكان الحِمل ثقيلا عليه.

• غريب هو اليس كذلك؟.. كأس قاسٍ لن يفلت منه احد.. سواء على سريرك، في الشارع، حادثة ما، مرض مُزمن، كلها اسباب لا اكثر، ولكنه آت، برضاك او غيره هو آت.

ذهبوا جميعاً الى المقابر حيث مدافن عائلة الجابري التى ينتسب إليها عَلي.

أتمّوا مراسم الدفن ووقفوا ليأخذوا العزاء.. وهنا حدث شئ غريب.

• ظهر الرجل مرة اخرى، نعم هو نفس الرجل الغريب، كان مالِك لا يستطيع تمييز أي أحد من الناس لكثرة بكائه وحزنه الشديد، سَلم عليه الرجل سلاماً حارة غير أي أحد وألقى عليه جملته المعتادة " الموت لا يُخدع ".

انتفض مالِك حينما سمع تلك الجملة، رفع عينه لم يجده، كأنه تَبَخّر في ثانية.

حين ينتابك شعور ما، تتخيل ان العالم بوسعه لن

يساعكما سويا، تشعر ان الكون يضيق من حولك، او انه حبل والتف حول رقبتك انت فقط، كأنه لم يرى احد سواك، قِس على ذلك اى شعور، الخوف، الجوع، الموت، اخطرهم الاخيرة تلك، فأنه لن يسمح لك بالشعور به لانه ضيف، لا يستأذن.

ترك مالِك الصفوف واخذ يبحث عن ذلك الرجل بين الجموع حتى ظن انه فقده فوقف يلهث من شدة التعب فوجد نفسه بعيداً عن الناس في مكان خال تماماً من أي احد، فأسند ظهره على الحائط ليستريح ويعود اليهم، حتى شعر بخبطة أصبع على كَتِفه وسمع إسمه بصوت قوي " مالِك ".

فالتفت خائفاً.

* * *

• كانت تلك يد عاصم الذي كان يبحث عن مالِك، اطمئن عليه ثم عادوا الى الجمع سوياً.

مالِك: يلا يا رجالة عشان الجنازة بالليل.

علي: لا يا مالِك مفيش جنازة بالليل، ابويا موصّي ميكونش فيه جنازة والدفنة تكون شرعي عالقبر بس.

عاصم: يا زين ما عمل يا علي والله ربنا يرحمه ويكتبله بكل وجع ثواب ان شاء الله.

• انهوا مراسم الدفن ورجعوا لبيوتهم.

• دخل مالِك الى شقته على الساعة الثانية عشر مساءاً فتذكر انه لم يشترى شيئاً يأكله، كانت ثلاجته خاوية من أي شئ يدخل المعدة سوى زجاجتين من البيرة التى كان ينوي احتسائهما فى ليلة ما.

• فنزل مرة اخرى، وهنا حدث شئ كان ينتظره مالِك.. ولكن ليس بهذه الطريقة.

• كان الدَرَج مظلماً على غير عادته، ينزل مالِك وهو يضع يده على الحائط حتى أن وصل الى مدخل المنزل فوجد

شخص ما يقف كأنه ينتظره، فألقى مالِك السلام عليه، فلم يُجِب، فوقف مالِك حتى يتأكد من هذا الشخص جيداً، لم يرى له ملامح ولا اى شئ يدل على هويته، لم يرى منه سوى بداية خياله واخره، حتى سمع صوته.

شايفك بتدوّر عليا، قولت اجيلك، انا لو مكانك مش هعمل كدة.

مالِك: انت مين؟.

- كان نفسي اقولك انا مين، لكن لسة مش مُقدر تعرف انا مين دلوقت، ومش هيهمك اوي.

مالِك: انا عايز اعرف انت مين، وايه علاقتك بكم الناس اللي بتموت ف حياتى دي انا متأكد انك عارف حاجة.

- وايه اللي مخليك متأكد اني عارف حاجة؟.

مالِك: موضوع الحادثة ولما شوفتك عالكوبري واقف وحدك وبصيتلي ومشيت، وبعدها عالقهوة لما كنت مع

زمايلي وقولت الموت لا يُخدع، تُقصد ايه؟ وليه من بعد ما شوفتك وناس اعرفها ماتت من ضمنهم سارة خطيبتى؟.

- عارف يا مالِك، احلى حاجة فيك انك ذكي، بتحسب كل حاجة ومتسبش حاجة للصُدف، بس مسألتش نفسك سؤال تاني.

مالِك: سؤال ايه؟.

-مش يمكن شوفت الموضوع كله من الاول وعارفه؟.

مالِك: شوفت ايه؟.

-حادثة كبيرة بتحصل كان مُقدر يموت فيها كل الموجودين، لكن بسبب شخص واحد اتغير القدر ونجوا من الموت، بس ده كان مجرد سبب، بس بعد كدة كل وحد بيجى دوره، لحد ما يموتوا كلهم، ومحدش ساعتها هيمنع قدرهم، لان كل واحد منهم ليه محاولة واحدة بس، وانت بذكائك استنفذت كل محاولاتهم مرة واحدة، فاتحسبولك.

مالِك: وانا مالي بكل ده؟.

-فيه أداة تغيير حصلت يوم الحادثة والأداة دي كانت انت، وعشان كدة؛ هتكون انت اخر واحد فيهم عشان تشوفهم كلهم قدام عينك، ده لانك اتدخلت وفكرت تخدع الموت، لعبة بسيطة وسهلة وانت دخلتها من غير قصد.

مالِك: ولو قولتلك اني مش قابل ده؟.

-هههههه انت قبلت ده فعلاً من يوم الحادثة، لما بصيت لك وانت رديتلي البصة وكأنك بتتحداني، شوفت بقى انك دخلت اللعبة بمزاجك.

مالِك: والمطلوب؟.

-ولا حاجة، غير انك متدّخلش تاني في اي حاجة.

مالِك: تقصد ان لسة فيه حد تانى هيموت؟.

-اها.. مين كان معاك ف الاتوبيس بالظبط؟.

مالِك: عاصم ومؤمن وعلى وندى وعم رضوان وسارة.

-فاضِل منهم مين؟.

مالِك: انا وعاصم ومؤمن وعلى وندى.

-تليفونك هيرن كمان ساعة، هينقصوا تانى، دلوقت هسيبك وهنتقابل قريب، متحاولش تدوّر عليا تانى انا هظهرلك وقت ما احب.

• بعد تلك المحادثة الشيّقة وجد مالِك نفسه في شقته وقد عاود إدراجه اليها، بعد أن ذهب الجوع من باله قبل معدته، لم يتذكر بالتحديد اخر مرة قد ارتاح فيها جسده وتفكيره بالنوم.

• بعد ساعة.. يرن هاتف مالِك فيرد بأيد مرتعشة.

مالِك: الو ايوة يا عاصم فى ايه؟.

عاصم: علي حاول ينتحر يا مالِك واخدوه عالمستشفى وادينى نازل رايحله.

مالِك: ايه اللي حصل لكل ده؟ اديني جايلكم على هناك، سوق على مهلك وانت جاي.

عاصِم: متقلقش يا مالِك اسبقني انت بس واديني جاي بالعربية.

• نزل مالِك الى المستشفى فوجد علي ممدد على الفراش في حالة يرثى لها، دخل عليه ليحادثه ويلومه على فعلته تلك، وان ما حدث لأبيه كان قدراً ليس إلا، لكنه لم يجد رداً.

حضر مؤمن إلى المستشفى ووجهه يخبر بأن لديه خبر اسوأ.

مؤمن: عاصم عمل حادثة يا مالِك وهو جاى على هنا وللاسف محدش لحقه.

هَب مالِك واقفاً ممكساً بمؤمن من كتفه " انت بتقول ايه؟ عاصم مين بالظبط؟ اكيد انت غلطان.

مؤمن: الإسعاف لسة واصلة بيه المستشفى تحت حالا انزل اتأكد بنفسك.

• نزل مالك الى الاستقبال ليجد عاصم ولكن لم يظهر له ملامح، جُثة هامدة غارقة في دمائها، تجمع حوله الاطباء والمسعفون ليوقفوا ذلك النهر المتدفق من رقبته واوردة يده، لكن محاولاتهم باءت جميعها بالفشل، مما بعث فى نفسه اليأس بأنه لا مفر.

لم يحرك ساكناً حين رأه، جلس على ركبتيه واضعاً يده على رأسه، كل ما يشغله هو أصدقائه الذين ينقصون واحداً تِلو الاخر بسببه، ودار في نفسه اسألة عديدة.

ما الذي دفعني أن أنقذهم؟ لماذا تدخلت ومنعت قدرهم؟ كان من الافضل لو كنا جميعاً الان في عداد الموتى فى حادثة واحدة بدلا من ان ينفذ كلا منّا مع مرور الوقت.. ظل يفكر كثيراً حتى قُطع تفكيره حينما نظر الى اخر الممر، فوجده واقفاً ينظر اليه ويبتسم ابتسامة ماكرة،

كأن لسان حاله يخبره " الم اقل لك "، لم يُحرك ساكناً عندما رأه بل نظر الى الارض فى خيبة ويأس، رفع عينيه مرة اخرى فلم يجده.

اخرج هاتفه ليحادث ندى.

مالِك: ايوة يا ندى.. عرفتي اللي حصل.

ندى: في ايه؟.

مالِك: ابو علي اتوفى من 12 ساعة وعلي حاول ينتحر من ساعتين وروحنا المستشفى عشان نلحق على، عاصم عمل حادثة بعربيته وهو جاي واتوفى.

ندى: لا اله الا الله.. ايه كل ده انًا لله وانًا اليه راجعون.

مالِك: كل ده بسببي يا ندى كل اللي بيحصلهم بسببي انا، انا بتصل بيكي عشان اقولك خلي بالك من نفسك اليومين دول ومتنزليش من البيت لحد ما الفترة تعدي ولو هتنزلي خدي بالك من نفسك.

ندى: فى ايه لكل ده وايه الجديد يعني، كل ده نصيب وده نصيبهم وعمرهم انت مالك ومال كل ده.

مالِك: يوم الرحلة ساعة ما حصلت حادثة ولحقتكم، كان المفروض ساعتها نموت كلنا، بس انا اتدخلت وأجلت القدر، واهو بيحصل وعمالين يتصفوا واحد ورا التاني.

سارة وعم رضوان وابو علي وعاصم واهو علي ف المستشفى وياعالِم هيفوق ولا لأ ومحدش عارف مين اللي بعد كدة، هتفضل تلف علينا كلنا لحد ما نخلص وانا اخركم.

ندى: سيبها على الله يا مالِك واللى عايزه ربنا هيكون ولو مخبى عليا حاجة تانى قولّي.

مالِك: فيه راجل بيظهرلي كل فترة وظهرلي ساعة الحادثة ومحدش شافه غيري وبعد كدة ظهرلي في جنازة ابو علي ولما روحت ظهرلي فى مدخل البيت وكلمته وشوفته من شوية ف المستشفى.

ندى: راجل مين؟ ويطلع مين وايه علاقته بالموضوع ده اصلا ده قضاء ربنا وبيحصل فى ميعاده يعني ملوش دعوة بحد.

مالِك: معرفش ومرضيش يقولّي هو مين، بس انا متأكد ان ليه علاقة بالموضوع لانه قالي ان محدش من اللي كانوا فى الاتوبيس هيعيش.

ندى: الموضوع ده غريب جدا يا مالِك ومش سهل ومينفعش يعدي بالساهل كدة، طب فكرت تروح القسم تعمل محضر؟.

مالِك: ملوش لازمة لانهم مش هيمنعوا الموت من حد.

ندى: طب ما يمكن يكون ليه يد فى الموضوع ده.

مالِك: مظنش لانه مش هيستفيد حاجة اولا.

ثانياً كل اللى بيموتوا بيموتوا موتة طبيعية مفهاش شك او قتل عَمد.

هقفل انا معاكي عشان الدكتور بينده عليا.

الدكتور: انت صاحبه؟.

مالِك: ايوة يا دكتور خير؟.

الدكتور: البقاء لله، عايزين حد من أهله يمضي على استلام الجثة عشان مينفعش تقعد في المستشفى.

• لم يتمالك نفسه، منذ فترة بعيدة لم تهزمه دموعه بهذا الشكل، ولكنه " علي " اكثر اصدقائه حباً له، هنا تَيّقن مالِك تماماً ان ما يشغل باله كان صحيحاً، وانها مسألة وقت لا اكثر حتى يأتي دوره، فيجب عليه ان يستعد لهذا اليوم.

• توجه للدكتور لكي يمضي على استلام جثة علي.

الدكتور: إحنا عايزين حد من أهله.

مالِك: انا صاحبه الوحيد يا دكتور، مفيش حد من اهله عايش ووالده لسة متوفي اول امبارح.

الدكتور: لا اله الا الله، ربنا يرحمهم جميعاً، ماشي اتفضل امضي.

• يخرج هاتفه ليتصل بمؤمن ليتموا امور الدفن سوياً وليُعلِموا من لم يعلم.

• مساء نفس اليوم يجلس مالِك بجوار مؤمن على المقهى المقابل لبيت مؤمن من الجهة الاخرى، تظهر والدة مؤمن من الناحية الاخرى للشارع المُطل على المقهى، وترفع يدها لمؤمن بأشارة فحواها " لا تتأخر ".

مالِك: مالَك يا مؤمن سرحت فى ايه؟.

مؤمن: ابدا مفيش، شوفت حاجة كدة، معاك يا مالِك.

مالِك: كدة فاضل انت وندى وانا فى الشلة كلها.

مؤمن: انت لسة بتفكر فى الموضوع اياه؟ ده نصيب وكل واحد ليه ميعاده.

مالِك: بس مش بالترتيب ده.. وكمان لو زي ما بتقول ايه لازمة الراجل اللى ظهرلي ده لما كل واحد ليه ميعاده.

مؤمن: معرفش، بس يمكن تكون انت مكبر المواضيع شوية، واضح ان القراية الكتير والكتب لحست دماغك وخلتك تتخيل حاجات مبتحصلش.

مالِك: يعنى ايه يا مؤمن؟ يعنى انا بكدب؟.

مؤمن: معرفش ومش داخل دماغى الموضوع كله الحقيقة واشمعنى كلنا بنتصفى واحد ورا التاني وانت قاعد؟ مش شايفها غريبة؟.

مالِك: انت تقصد ايه؟ انا مليش يد ف الموضوع ده، بالعكس انا اللى لحقتكم ساعة الحادثة، وليه بتقول كدة اصلا احنا صحاب من زمان وعمرنا ما اذينا بعض.

مؤمن: اى حد من اللي ماتوا كان بيبقى قاعد معاك قبلها يا لسة قافل معاك التليفون، الموضوع مش صُدف يا مالِك.. انا قايم وسيبهالك وياريت منتقابلش تاني.

مالِك: يابني استنى بس افهم.

مؤمن: مش عايز افهم حاجة كدة تمام، كل حاجة واضحة..سلام.

• يقف مؤمن ويترك حسابه على المنضدة ليعبر الرصيف المقابل ليدخل بيته، واثناء مروره للشارع، يهب مالِك واقفا قائلا بصوت عالِ " مؤمممممن "، فلم يعره مؤمن اهتماماً، فتأتي سيارة ضخمة فتصدم مؤمن صدمة قوية فتلقي به على الناحية الاخرى فيرتطم رأسه بالرصيف الخرساني، فيذهب اليه مالِك مسرعاً.

مالِك: مؤمن.. انت كويس؟ انا اسف حقك عليا والله كنت بنده عليك عشان اقولك خلي بالك من العربية.

مؤمن: متزعلش مني يا مالِك، واضح ان كان عندك حق، انا اسف اني مسمعتش كلامك واني اتهمتك سامحني، انا لسة شايف امي حالا عالرصيف التاني بتشاورلي، وبتقولي متتأخرش، انا عرفت تقصد ايه، اديني هروحلها..متتأخرش يا مالِك هستناك... ثم قطع الانفاس.

• احتضنه مالِك واخذ يجهش بالبكاء حتى فقد الوعي بجانبه،وكأنه عدّاد لن يتوقف الا بتوقف نبض من اقام بتشغيله، لقد اخطأ، ومن الخطأ احياناً ان تتدخل فيما لا يعنيك.

عصر يوم 23 / 12 / 2010.

مالِك على سرير المستشفى فى غرفة العناية المُركّزة.

بعد ان استفاق وفتح عينيه ليجد بجواره ندى ممسكة بيده.

مالِك: انا فين؟.

ندى: انتَ ف المستشفى والحمد لله الدكتور طمني عليك وقالي انك كويس.

مالِك: فين مؤمن؟.

ندى: الله يرحمه يا مالِك، ادعيله.

مالِك: انا السبب، انا السبب فى موتهم كلهم.

ندى: متتكلمش كتير بس عشان متتعبش وان شاء الله كل حاجة هتبقى كويسة.

مالِك: ابعدي عني.

ندى: انت بتقول ايه يا مالِك.

مالِك: زي ما سمعتي، كل اللى بيقرب مني بيموت، اديكي شايفة كلهم ماتوا عشان كنت جمبهم ومعاهم، وكأنه قاصد يهدني ويقتلني بالبطئ.

ندى: ماشى يا مالِك اللي تشوفه، بس ابقى طمني عليك.. سلام.

• خرجت ندى واخذت دموعها تاركة مالِك وليس بجواره احد، ليُخرج حاملة نقوده ليتفقد صورهم جميعاً، سارة وعم رضوان ووالد على صديقه و عاصم و علي ثم مؤمن، تذكر جميع المواقف التي جمعته بهم جميعاً وكأن الذاكرة لا تنفُض ما بداخلها سوى وقت الحزن والاسى، ملعون ذلك الجزء من الدماغ، والذي لا يعمل الا ليذكرنا بأشخاص رحلوا.

• وضع صورهم بجانبه واغلق عينيه ليستريح من الم التفكير.

• هناك جزء فى دماغ الانسان يسمى بالعقل الباطن، والذى لو وصل العلماء الى طريقة إبطاله لارتاح العالم منه، أظن ان الانسان الآلي اكثر راحة من البشر، فقط لأنه لا يملك هذا الجزء فى جسده.

• تخيل معي انك حين تظل تفكر في امر ما لمدة خمس دقائق فقط قبل النوم، فسيتكون ذلك التفكير الى مشاهد مصورة تأتي لك طازجة فى صورة حلم، وكأنك بطل في فيلم لم تتواجد فيه لانك لم تتحرك من على سريرك اصلا، ولكنه يجعلك البطل والمُشاهد فى نفس الوقت، أمر مُزعج حقاً، أعتقد ان من ضمن اسباب قيام الحربين العالميتين الاولى والثانية، هو ان قادة تلك الجيوش، قد فكروا فقط في الامر قبل نومهم، فصوّر لهم عقلهم الباطن بأن الامر مشوق ويستحق العناء،

لن أكذب عليك يا عزيزي، فلقد صوّر لي ايضاً عقلى الباطن بأنى سوف اصير كاتباً كبيراً فى يوم من الايام، والجماهير من حولي وانا اقوم بتوقيع اسمي الذى كان لا يعرفه احد سوى أُمى، ولكن عندما استفيق اتذكر نتيجة الحرب العالمية وانه لم تعود بالنفع على احد، وقتها فقط أتيقّن تمام اليقين ان هذا الجزء من المُخ يستحق التواجد فى النار مع الكذابين، حتى وأن كان صاحبه فى عليين.

***

• من المؤسف حقاً أن يصور لك عقلك بأنك قد صرت بطلاً في يوم من الايام، وأنت نفس الشخص الذي كان بالبارحة يخاف ان يبيت فى غرفة مظلمة، فلا تصدق عقلك في كل الاوقات، مُتاح لك ان تستخدمه في كل شئ ولكن لا تفعل كل شئ يقوله لك، لانه ومن الواضح انه يأتى عليه فترة ويُغيّب، وتلك الفترة تكون مثلا وقت حدوث كارثة وسيموت فيها شخص، او دخولك فى علاقة

جديدة، وأظن ان فى الحالتين مصيبة، فلا تفكر كثيراً وترهق عقلك، لأنه لو استخدم بطريقة عشوائية، سوف تنقص قدرته على فهم الاشياء، وستصبح مِن مَن لا عقول لهم، (بَينى وبَينَك) هم افضل منّا بكثير، هو عائم فى ملكوت يخصه وحده، ولا يتسع لاحد غيره، لانه عالمه، قام بتفصيله على مقاس عقله الغير موجود.

• بعد عِدة سنوات يجلس مالِك مع ندى في شقته.

ندى: عملتلك احلى كوباية شاي ياعم مالِك.

مالِك: تسلميلي يا ندى متحرمش يارب.

ندى: ها ياسيدي ايه اخبار الشغل، طمني.

مالِك: اهو الحمد لله النهاردة اترقيت بقيت مدير مكتبي.

ندى: اوباااااا لا دي فيها عزومة برة بقى مش كوباية شاي ناشفة كدة.

• ضحك مالِك من طريقة كلامها ووقفتها التي يعشقها واضعة يدها في نصف جسدها بطريقة مُضحكة.

مالِك: المكان اللي تعوزيه يا ندى وانا تحت امرك.

ندى: اه كل مرة بتقول كدة وشكلنا هنطلب دليڤري في الاخر.

مالِك: هههههه لا المرادي بجد.

هههههههههههههههه.

ندى: بتضحك على ايه ياخويا ضَحّكني معاك.

مالِك: كل ما افتكر كلام الناس فى الاول اني بجيب بنات الشقة وفاهمين اني وحش، مبقدرش امسك نفسى من الضحك، مش متخيلين ان ممكن عادي واحد وصاحبته يقعدوا سوا في شقة من غير ما يحصل حاجة.

ندى: ياعم والناس امتا بتسيبنا فى حالنا؟ فكك عيش حياتك براحتك.

مالِك: صح.

ندى: شوفت بقى يا سيدى ان الموضوع اياه كان كله قضاء وقدر وانك ملكش دعوة بيه والراجل الغريب اياه هو كمان ملوش دعوة والدليل على كدة إني لسة عايشة أهو (وأخرجت لسانها لتغيظه).

مالِك: ده بس عشان مبقتش اشوفه تاني، انا بقيت كل ما بشوفه بحس بخطر، واوقات كمان بحس انه هيظهرلي من قبل ما اشوفه، تقدري تقولي بحس بيه او بشم ريحته.

ندى: غريبة دي، انا اول مرة اسمع عن حاجة كدة.

مش شايف انه موضوع غريب وجدا كمان؟.

مالِك: قولت كدة كلكم مصدقتوش واللي اتهمني بالجنان واني لسعت.

ندى: خلاص اللي عَدى عَدى مش مهم الحمد لله اننا بخير وانك بطلت تشوفه خالص... قولي بقى خلصت الرواية ولا لسة؟.

لسة بدرى.

طب ما تتسلى فيها طول مانت فاضي كدة؟.

حاضر.

عارفة يا ندى نفسي ف ايه؟.

-ايه؟.

ارجع لباقي عيلتي اللى بقالي زمن معرفش عنهم حاجة.

-تعرف اني برغم كل السنين اللى عارفاك فيها دي ومعرفش انت منين اصلا.

احنا عيلتنا عيلة كبيرة اوي في المنصورة، بس من زمان وعمي الكبير حكم على أبويا واخواته انهم ميقعدوش في البلد تاني.

-ليه ايه اللى حصل وقتها؟.

معرفش وابويا لحد ما مات مرضيش يقولي.

-اممم لا الموضوع ده عايز قاعدة لوحده، هدخل المطبخ وجاية ثوانى.

• ينظر مالِك من الشباك المُطل على الشارع الخال تماماً من الناس، وهو يستمتع بكوب من الشاي الساخن، وحدها كانت من تعرف ما الذى يستهويه، فيجد خيالاً لشخص يقف خلف عمود إنارة، فلم يعره إهتماماً حتى حدث شئ غريب.

تحرك الخيال من خلف العمود ومشى الى الرصيف المؤدي لمنزل مالِك، تبعه مالِك بعينيه، ما هذا؟ كيف لخيال ان يتحرك دون وجود الشخص الاصلي لهذا الخيال، خيال هذا أم واقع؟.

هز رأسه في محاولة منه ليستفيق، نظر مرة اخرة فوجد الخيال يقترب اكثر حتى اصبح تحت شباكه، ولكنه ظهر هذا المرة فوجده واقفاً ينظر اليه ويبتسم ابتسامة مستفزة لم تُنبأ بالخير ابداً.

هب مالِك من مكانه مسرعاً منادياً ندى التي لم تجبه، الأمر الذي جعله يزداد قلقاً.

دخل إلى المطبخ مسرعا فوجد ندى مُلقاة على الأرض وبيدها زجاجة قاتمة لا يظهر منها ما تحتويه، ومن الواضح أمامه انها شربت منها، مسك الزجاجة فإذا بها تحتوي على سائل يشبه الماء شفافاً وليس له رائحة، إنه سائل يحتوي مادة سامة جدًا وقاتلة كان يستخدمه والده فى تحنيط الحيوانات المفترسة والذى كان يضعها لهم حتى يموتوا ببطئ دون أدنى مقاومة، فهذه كانت وظيفته، تباً لذلك الفضول الذى يدفعها إلى أن تضع تلك الزجاجة فى فمها وتشرب منها.

• مسكها من كتفيها وهزها بعنف حتى يتأكد ان الشخص الذي ظهر اسفل منزله هو نفس الشخص.

لم يصدق نفسه، استدعى الإسعاف ونقلها إلى المستشفى فأخبره الدكتور المختص بحالة ندى.. إنها شربت كمية كبيرة من هذا السائل ولم يستطع أن ينقذها.

دخل مالِك فى نوبة بكاء هيستيرية، كأنه يعلم انها اخر مرة سيبكي فيها لأنه هو القادم لا محالة.

• اتصل مالِك بذويها لكى يُتموا امور الدفن، ولم يستطع ان يذهب معهم، لانه كان على موعد آخر.

* * *

• يبدوا أن مالِك وجد أخيرا ما يضعه فى روايته التى كان يتمنى أن يقتنيها الناس وأن يصبح كاتباً كبيراً، انتهى من وضع اللمسات الاخيرة واتصل بالناشر لكي يخبره انه أخيراً انتهى من كتابتها ولم يتبقى الا النشر وفي نفس اليوم سَلّمهُ مالِك الرواية ووعده الناشر انها ستكون في الاسواق في خلال اسبوع.

بتاريخ 15 / 5 / 2015.

• كانت حفلة التوقيع الخاصة برواية مالِك وسط حضور كبير من القُرّاء الذين كانوا ينتظرون صدور روايته الاولى والذي هو نفسه اندهش من عددهم الكثيف جدا والذي لم يكن يحلم به او يتخيله قائلا:

" انا حابب اشكركم كلكم على حضوركم الجميل ده واللى مكنتش اتوقعه، الرواية دي عن قصة حقيقية، وكتير مننا بتحصل معاه المواقف اللى حصلت في الرواية، ومش عايز احرقلكم تفاصيلها، بس الرواية لسة مخلصتش.

(وسط اندهاش الحضور ونظراتهم لبعض).

فأكمل: ايوة، الرواية هتخلص بموت شخص أخير... وهو انا.

• بعد انتهاء الحفل رأى شخص ما يتحرك بسرعة غريبة بين الحضور، وكأن لا احد يراه سواه، أحس بدوار خفيف يصاحبه صداع شديد جدا، هل هذه هي النهاية؟.

• هل فعل كل ما يريد في حياته حتى يموت وهو مرتاح البال ولن يأنبه ضميره الذي لن يموت، اعتقاداً منه بجملة كان يقولها والده " ضمير الحر ميموتشي "، هل هذه هي سكرات الموت ام ما زال يتبقى لديه قليل من الوقت ليعرف اشياء اكثر؟.

• نُقل الى المستشفى في الحال، يفتح عينيه ليجد حوله ضيوف الحفل قد اجتمعوا ليطمئنوا عليه، ثم طلب من الممرضة ان تقوم بأخراج كل من حوله وانه اصبح بخير الى حد ما، اغلق عينيه لأنه كان يشعر بأنه قد اقترب.

• من ضِمن المقولات التى كنا نسمعها قديماً وحتى عهدنا هذا، ان الميت يشعر بقُرب موته قبل موته بأربعين يوماً، هو كان لا يُصدِق تماماً تلك المهاترات، ولا تُجدى معه نفعاً، ولكنه تذكرها في تلك اللحظة، وتذكر ايضاً انه قد شعر بذلك الشعور قبل ذلك ولكن من يعلَم لعلها تكون خُرافات، ولا يحدُث شئ، ويُكمِل حياته، وأن ما حدث كان مجرد إعيائاً خفيفاً لا يستدعي كل هذا القلق، غريب طبع الإنسان، يعيش فى الدنيا كأنه لا يراقبه أحد او انه يعيش وحيداً ولكن عند الموت، يتذكر ربه وأهله وحياته البائسة، وفي تلك اللحظة فقط تكون الدنيا في اعيننا كَحِفنة من التراب، او روث البهائم.

• الان اصبحت الغرفة خالية تماماً على حد علمه او لاي احد دخل عليه الغرفة ولكن ليس بعد، لا تستعجل.

• ظهر له للمرة الاخيرة وللحديث الاخير بوجهه الحقيقى وجسده الكامل في حديث لم يدُم طويلا، أتُرى: هل جاء لينهي ما بدأه؟.... أم انه سيكون رحيماً عليه؟.... أياً يكن ذلك الشئ، وأياً يكن ما يفعله او ما سيفعله، فبالتأكيد ليس بالشخص الجيد، أو المُنتَظر.

مالِك: ايه خلاص؟ مفاضلش غيري كدة صح؟.

اها، احب فيك ذكائك.

مالِك: مش مستاهلة ذكاء خالص بس ليا سؤال اخير.

ممكن اعرف انت مين؟.

هههههه ده انا بقولك بحب فيك ذكائك، معقولة لسة معرفتنيش؟.

مالِك: لا معرفتكش، مش ناوي تقول برضو انت مين؟.

هههههه غريب طبع البشر يا أخي، عندهم فضول غريب والاغرب مش بيبطلوا فضولهم ده، مع انه موديهم في مصايب، وبيحشروا نفسهم في حاجات مش من اختصاصهم اصلا، انا مليش يد في كل ده تماماً انا بس كل اللى بعمله باجي في ميعادي بالظبط ويمكن كمان ولا انت ليك يد في الموضوع ده، ها عرفتني ولا لسة؟.

مالِك: طب وليه اخترتني انا بالذات عشان تعمل فيا كدة؟ الاتوبيس كان مليان ساعتها، اشمعنى انا؟.

عشان انت فضولي زيادة عن اللازم وانت اكتر واحد شهامة فيهم واعقل واحد يستحمل الصدمات عشان كدة اخترت تكون انت اللي تشوفني وبس وبالطبع انت اخر واحد فيهم، اقولك مفاجأة كمان؟ مفيش اتوبيس ولا حاجة.

• يأخذ مالِك نَفَسه بصعوبة بالغة ويتحرك جسده كأنه يقاوم قائلا: ازاااااااااي؟.

• يتحرك بسرعة غريبة كأنه يسبق سرعة الضوء، ليجده مالِك امامه مباشرة ولا يفصل عنه سوى بضع سنتي مترات.

• في نفس اللحظة خطر في بال مالِك سؤال آخر، ما هذا الشئ البشع؟ إنسي انت ام جني؟ وهل هناك إنسي يتحرك بتلك السرعة الرهيبة التي لا تترك لي فرصة لأتبعه بنظري حتى.

• أقترب منه اكثر ناظرا الي عينيه نظرة مُرّكزة قائلا:

انا الموت يا مالِك، انا الحقيقة الوحيدة اللي في حياتك، الضيف الرزل اللي كل الناس بتخاف منه ومبتحبش يزورهم مع اني ضيف خفيف، مباخدش وقت كتير، كل اللي حصل ده من خيالك انت من بعد وفاة والدك، بسبب انه كان رافض موضوع السفر بره من الاول ومات بسببك وانه كان غضبان عليك وبرضو انت صممت وسافرت، وقبلها خطوبتك من ايمان جارتكم

اللي والدتك جاتلها جلطة وماتت بسبب رفضها البنت دي وانت برضو صممت، وقبلهم خالص اختك اللى انت قتلتها عشان عرفت انها بتحب واحد معاها في الكلية، ولحد ما اهلك ماتوا كانوا فاكرينها انتحرت.

شوفت بقى ان الخيال احيانا بيخلي الناس تتخيل حاجات مبتحصلش، اقولك حاجة تصدِمك.. انت مشوفتنيش قبل كدة، دي اول مرة تشوفني فيها.

مالِك: يعني ايه؟ امال سارة وعاصم ومؤمن وعلي وندى وعم رضوان جارنا كل دول فين؟ والراجل اللي كان بيظهرلي وكان بيقولي الموت لا يُخدع ده.. مش انت؟.

لا مش انا.

ده صوتك الداخلي يا مالِك، انت وصلت لدرجة انك بتصنع اشخاص وتعيش معاهم فى خيالك.

مفيش حد من دول اساساً، انت مريض يا مالِك وكل الشخصيات دي من خيالك، شمّاعة يعنى، عشان ترمى

اللوم على شخص تاني، وهو الراجل الغريب اللي كان بيظهرلك، اللي كنت تقصدني بيه».

دلوقت جه وقتك يا مالِك.

• لحظة خروج الروح، اللحظة التي يتمنى كلا منّكم أن تمُر عليه بسلام، دون ألم او فزع، ولكن من منّكم قد أعد شيئاً لذلك اليوم، أو الساعات القليلة، أو لتلك الثواني المعدودة، فلحظة خروج الروح تختلف من شخص لاخر بحسب أعماله في الدنيا.

• هل مات على يديك أحد من قبل؟ هل جربت ذلك الشعور، وأنت تُمسِك بيد شخص، ويوجد شخص آخر في نفس الغرفة يمسك منه شئ آخر (وهو روحه)، وإن لم يحدث لك قط قبل ذلك، فقط تخيلها، ولا أريدك أن تخبرني ماذا تخيلت أو بماذا شعرت عندما تخيلت، لأنه وألى الآن قد مات على يدي ثلاثة أشخاص، ولا أنوي اخبارك بما حدث معي بالتفصيل يكفي لك أن تتخيله، حقيقة لا أنصحك

بفعل هذا الأمر سواء تخيلاً او حقيقة، لأنه من اصعب الأمور التى قد تمر بها في حياتك على الاطلاق، لانه وانا أروي لك تلك القصة، هناك شخص يموت الان وهو في يد شخص اخر، كل ما بوسعي قوله لك؛ لا تشغل بالك كثيراً بمن يموت على يديك بل أنه سيكون من حُسن حظِك جداً اذا مُت وأنت على فراشك وفى يديك يد أخرى تطمأنك وتخفف عنك هول ما ترى، ولكنه ليس اسوأ شئ تراه، ما زال الاسوأ مجهولاً، والذي لم يراه أحد وعاد ليخبرنا به.

• دخل ممدوح الراوي ناشر الرواية على مالِك غرفته فوجده ميتاً وعيناه موجهتان لاعلى وكأنه مشنوق، ويظهر على ملامحه الرعب والخوف الشديد، فهرع الى الدكتور مهرولا كي يخبره، ثم خرجا سوياً الى الخارج ورفع يده الى الجمع الحاضر للاطمئنان على مالِك قائلا جملة واحدة.

" **لقد اكتملت الرواية** "

(لا تطمع)

الطمع: هو صِفة بشرية، تُلازمك حتى بعد الموت.

• من الصعب على الإنسان أحياناً أن يرى ما في يد غيره ولا يطمع فيه أو على الأقل يتمنى أن يكون لديه مثل ما يمتلك حتى لو كان كل ما يملكه هو جزء بسيط من السعادة المتمثلة في ضحكة صغيرة على وجهه.

• الطمع، ذلك الجزء الاسود في قلب البشر والذي لا يمكن إنتزاعه مهما مر الزمن ومهما مر على الانسان من تجارب مؤلِمة نتيجة طمعه.

• قصر الجزّار، ذلك المكان الذي إن مررت أمامه لظننته قصر رئاسي للوهلة الأولى من فخامته وعظمته المتمثلة في معماره الكلاسيكي الفاخر، يُحيط بالقصر سور عالٍ تعلوه أسلاك شائكة تمنع أي أحد من التسلل الى داخل القصر، يتواجد أمام بوابة القصر فردين من الحراسة الخاصة.

- يُفتح باب القصر الداخلي فيظهر لنا شخص يقف بالداخل حتى يتضح لنا من هو:

- دياب مصطفى الجزّار، الإبن الأكبر للحج مصطفى الجزّار.

كبير عائلة الجزّار، والذين كان لهم باع طويل في السوق المصري.

• عائلة الجزّار.. عائلة كبيرة ومتشعبة من محافظة المنصورة، ويقع القصر الخاص بعائلة الحج مصطفى بشارع سعد الشربيني.

• كان الحج مصطفى يمتلك من العمر سبعون عاماً ورغم ذلك إن رأيته لن يظهر عليه أي شئ من علامات التقدم في العمر، كان نشيطاً بجسد شاب في الثلاثين، وكان يخصص يوم الجمعة من كل اسبوع للاجتماع بأفراد العائلة لأخذ قسط من الراحة مع أحفاده ثم بعدها يجتمع بكبار السوق في غرفة الكبار والتي لا يدخلها احد سواه

هو وديان وشركائه في السوق لدرجة انه خصص لباب الغرفة جهازاً يعمل برقمِ سري ولا يعلمه غيره هو وزجته.

• أنهى يومه الخاص بعائلته واحفاده وتوجه الى غرفة الاجتماعات ليعطي أوامره الى شركائه والذين كانوا لا يجرؤون على عصيان أوامره أو حتى مناقشتها.

• يظهر لنا وهو جالس على كرسي ضخم مُطعَم بالنحاس بأيات قرآنية تدل على تَديُّن مالك القصر، يقف من خلفه على اليمين إبنه دياب والذي أخذ من أبيه حكمته وهيبته، يقف مرتدياً بَزَة سوداء مرموقة لها هيبة في نظر من يراه، وعلى اليسار كامل الجزّار شقيقه الأصغر.

• على الكرسي الأيمن للحج مصطفى الجزّار يجلس الحج سلامة الحداد كبير عائلة الحداد، وعلى يمينه يوسف ناصف وكان يعمل ظابطاً في وزارة الداخلية قبل أن يُقال من منصبه إثر قضية قديمة كان قد أتُهم فيها

بالتعاون مع احد طرفي القضية فتمت إقالته في الحال، على الكرسي الأيسر للحج مصطفى يجلس الدكتور بهاء خلف طبيب متخصص في عمليات جراحة الأورام بمستشفى المنصورة الدولي، وبجواره معتز السلاموني من كبار رجال الاعمال في المنصورة.

• بدأ الاجتماع بكلمة الحج مصطفى.

: الصفقة دي مهمة جداً ومش عايز أي غلطات فى الموضوع عشان الغلطة بفورة وانتوا عارفين الخاين عندي تمنه ايه.

إبني دياب هو اللى هيطلع العملية دي وهيشرف عليها بنفسه وكل واحد فيكم هيتابع مع رجالته فـ العملية وكل واحد هياخد نصيبه كالعادة، زي كل عملية كبيرة هنتجمع هنا وهتتصرفوا مع البنوك براحتكم بعدين لما تعملو ايداع بفلوسكم، وطبعاً مش محتاج أوصّيكم إن المبلغ ميتحطش كله مرة واحدة عشان منتحطش في دايرة شك،

ويوسف هيتابع مع القسم بحيث إنه يبقى على علم بأى بلاغ يجي من اي حد من التعابين اللي بيلعبوا ورانا.

اللي تشوفه يا حج مصطفى أوامرك.. قالها الحج سلامة الحداد، وأتبعه يوسف ناصف بإيماءة برأسه تعني الموافقة.

طيب على بركة الله كدة اتفقنا بعد بكرة بإذن الله بعد الفجر العربيات هتتحرك من الحدود وهيتم التسليم على طريق مصر السويس والشُحنة هترجع على مخازن بيت الجزار في الناحية القبلية من البلد وبعدها كل واحد هياخد نصيبه ويوزّع على ناسه بمعرفته، الشحنة دي تعتبر أكبر شحنة هنجيبها من ساعة ما بدأنا الشُغل... الاجتماع خِلص.

• خرج الجميع من الغرفة بعدما أنهى الحج مصطفى كلامه بعدما أشار الى ابنه دياب بأن يبقى ويُغلق باب الغرفة بإحكام.

تعالى يا دياب.

اؤمرني يا حج.

إنت لازم تخلي بالك في العملية دي كويس ومتسبش وراك غلطة تسمح لاي حد منهم يشكك في عقلك وحقك في إنك تقعد عالكرسي ده من بعدي.

ايه اللى بتقوله ده ياحج، ربنا يديك الصحة وطولة العمر، متشغلش بالك انت كل حاجة هتبقى تمام.

عارف.. انا عارف كل ده والا مكنتش خليتك تطلع مكاني في عملية كبيرة زي دي، ركّز في كل كلمة هقولهالك، السوق بقاله فترة مش مظبوط، والداخلية مركزة معانا، وانا مش ضامن عمري فلو جرالي اي حاجة هتبقى انت عالكرسي ده مكاني وعمك كامل في ضهرك، الملف ده فيه كل حاجة تخص الاوضة دي برقم الخزنة وبكل شغلنا هنا، الملف ده مهم جداً ومينفعش حد يشوف اللى فيه غيرك، وانا هسافر بكرة ألمانيا مع والدتك عشان ابدأ إجراءات العملية، الورم بيزيد وانت

ووالدتك بس اللي تعرفوا الموضوع ده، إخواتك البنات ميعرفوش ومش عايز حد يعرف إني مسافر أصلاً، عشان انا مش ضامن التأخير ولا ضامن عمري ولو حصل حاجة السكاكين هتكتر عليك فلازم تبقى قد المسئولية.

متقولش كدة يا حج والله هتبقى زي الفل وهترجع احسن مالاول.

ولو مرجعتش متقلقش من حاجة ده نصيب وكل حاجة ليها وقتها يابني.. يلا تصبح على خير.

• صبيحة اليوم التالي يذهب دياب بصُحبة عمه كامل مع والده الى المطار لتوديعه قبل السفر لاجراء عملية إستئصال ورم خبيث خلف الأذن.

مش هوصيك على دياب يا كامل، انت اللى ليه بعدي.

متقولش كدة يا حج مصطفى دياب في عينيا وربنا يرجعك لينا بالسلامة وتشيل عياله كمان.

مش عايزه يعرف السر اللى خبيته عنه كل السنين دي غير بعد ما تدفنوني يا كامل، مش عايزه يكرهني غير لما أموت بس.

صلّي عالنبي كدة امّال، دهدي جرى ايه يعني لكل ده إن شاء الله هترجع انت وهتقوله على كل حاجة وهيفهمك كويس وانك عملت كدة عشان مصلحتنا كلنا.

ماشي يا كامل أشوفك على خير، خلي بالك من نفسك يا دياب ولو احتجت حاجة عمك معاك...سلام عليكم.

• يغادر كامل ودياب ارض المطار مُتجهين الى القصر وفى الطريق دارت بينهم تلك المحادثة.

في ايه ياعمي، مال ابويا بيتكلم ليه كدة وكأنها المرة الاخيرة.

محدش عارف يا دياب يابني بكرة فيه ايه، المهم متفكرش فـ حاجة دلوقت غير العملية اللى داخلين عليها وبعدين نفكر في اللى بعد كدة، واهي هانت.. قريّب هتعرف كل حاجة.

• القى كامل الكلمة ولم يلقى معها بالاً بأنها لن تغادر بال دياب للحظة.

* * *

طريق مصر السويس 05: 2 صباحاً.

22 / 4 / 2016.

-بُص عالشُحنة كويس يا دياب بيه.

-بصيت يا أبوداوود، عارف.. كنت بستغرب لما بلاقي الحج واثق فيكم الثقة دي، النهاردة بس عرفت إن ثقته في محلها.

-إحنا مش أول مرة نشتغل مع الحج، بس أول مرة نشتغل معاك ودي شُحنة كبيرة عليك، هو الحج فين؟.

-مش شُغلك.. انت شُغلك تسلمني البضاعة وتستلم الفلوس.. الباقي ميخصكش.

-صح... إنت صح، المقطورة دي هتفضل معاك لحد المخزن، والرجالة اللي فيها مُلزمين بتفريغ البضاعة في

مخازن الجزار، متقلقش يا دياب بيه.... احنا عارفين اللى علينا..فاضل اللى لينا.

-ماشي.. ودي فلوسك يا أبو داوود.

-تمام يا غالي يابن الغالي، تدوم لكل عملية.. سلام.

-سلام.

* * *

أيوة ياعمي انا جاي عالمخزن خلي الرجالة تِجهز.

مستنيك يا دياب خلّي بالك من الطريق وزي ما فهمتك خلي عربية من عربيات الرجالة اللى معاك تتأخر وعربية تانية تسبقك عشان الكماين اللى عالطريق.

متقلقش يا عمي هتتستر.

* * *

مخازن بيت الجزار الساعة الثامنة صباحاً.

يقف كامل مرتدياً زياً لا يوضح هيئته، وينظر الى الشُحنة بعدما تم إيداعها بالمخزن، مُربتاً على كتف دياب قائلاً:

-عفارم عليك يا دياب.. طالع لابوك يابن اخويا.

-بنتعلم منك يا عمي.. الحمد لله انها اتسترت لولا توصيات يوسف ناصف عالكماين اللى عدّيت عليها كان زماني مقبوض عليا دلوقت انا والرجالة.

-متقولش كدة يا دياب.. ابوك يوم ما قرر انك تطلع العملية دي كان عارف وواثق انك قدها، وكمان ياواد انا وراك يعني متخافش من حاجة ابداً.

-اكيد ياعمي ربنا يخليكم ليا انت وابويا.

• يُخرج كامل هاتفه المحمول ليخبر شركائهم ان الشُحنة وصلت بسلام، حتى يقرر دياب ان يتكلم ويسأل سؤالاً لم يكن يتمناه عمه كامل في يوم من الايام:

عمي، انا عايز اعرف ايه الشُحنة دي واحنا بنشتغل في ايه اصلا، وايه سر ان البضاعة بتتسلم متأخر كدة، وايه سر الفلوس الكتير اللى عندنا دي، واوعى تقولي زي ابويا ما قال ان دي فلوس الشركة... مفيش شركة استيراد وتصدير في الدنيا هتجيب كل الفلوس دي؟.

• ينظر كامل الى الارض لا يعلم من أين يبدأ أو كيف، ولكنه قرر اخيراً أن يتكلم حتى لا تزيد شكوك دياب في حقيقة عملهم.

انت عارف ان ولا وقته ولا مكانه اننا نتكلم في حاجة زي دي بس انا هجاوبك، هجاوبك وانا اول مرة احس نفس الاحساس بتاع ابوك في كل مرة كان بييجي يقولي انك سألته نفس السؤال ومقدرش يرد.. إحنا تُجار مُخدرات يا دياب.....،

ودي تجارة أهم وأكبر واخطر من اي تجارة تاني.

مخدرات؟ بودرة وهروين ياعمي؟.

- لا.. ده نوع مُعين من المخدرات اسمه " L. S. D."
وده لو كنت بتقرى كنت اخدت بالك ان أحمد خالد توفيق اتكلم عنه قبل كدة، وده بناخده من حمض اسمه "اللسيرجيك" ودي مادة لا ليها لون ولا طعم ولا ريحة يعني تشبه المَيّة كدة، ودي بتدخل على الجهاز العصبي بنسبة

ضئيلة جداً، عشان كمية منه تعادل وزن قرص من الاسبرين والكمية دي تكفي من 3 ل3 الاف ونص جرعة مؤثرة، وبيستخدموه فى الطب بكميات مدروسة لعلاج حالات معينة زي حالات إدمان الخمور والامراض العقلية، طبعاً بعد كل ده كان لازم يحرّموه دولياً وممنوع قانوناً، بس على مين؟ احنا عندنا هنا ف الورش بتاعتنا مكابس بنحضّر فيها العقار ده، هيا اه طريقة بدائية ومش بنعمله بالإحترافية المطلوبة بس ده عشان احنا بس اللى فى المنطقة دوناً عن الدول اللى جمبنا بنعمله بالكفاءة دي.

وبتعملوه ازاي؟.

بنعمله بأربع أشكال:

فيه تُجّار بتطلبه سائل، فبنسيّحه ونعبّيه في أزايز صغيرة في حجم أزايز الحُقن ودي بتبقى بالمللي طبعاً لانه غالي جدا، وفيه تُجّار بتطلبه اقراص، فبندخّله عالكباسات ويتحط في شرايط، وفيه نوعين تانيين دول

اللى مش تقليديين، بنعمله على شكل خرز ويتحط في خيط زي السِبحة عشان يبقى سهل عالمتعاطي انه يحطها تحت لسانه ويمضغها بدل ما تنزل المعدة على طول ويتعب والنوع ده يشبه الأفيون، وفيه النوع الاخير وده بقى صعب شوية عشان بندوّبه وبيبقى عبارة عن مادة لزجة زي الصمغ وبيتحط على طوابع البريد والنوع ده بنسميه طوابع.

- طب واللي بياخد الكلام ده بيحصله ايه؟.

الجُرعة الواحدة منّه بعد ساعة واحدة من تعاطيه تخلّي المتعاطي يسافر في رحلة هلوسة يفضل فيها من 4 ساعات لحد 18 ساعة بس بيبقى مُدرك لكل حاجة بتحصل حواليه لكن ميقدرش يتحرك من مكانه، لان العقار بيأثر عالجهاز العصبي.

وبعد ما ياخد الجرعة بعشر دقايق بالظبط بتبدأ الاعراض الجسمية تبان عليه وبتبقى عبارة عن سخونة

وعرق غزير، وعدد نبضات القلب بيزيد، وارتفاع في ضغط الدم، مبيحسش بطعم الاكل، وجسمه مكسّر دايما و دايخ والاهم من كل ده الاعراض النفسية.

ودي بقى بتبقى بعد مرحلة الاعراض الجسمية وبتحصل تقريباً بعد ساعة من تعاطيه للمخدر، ودي بيحس فيها المتعاطي انه مسافر في رحلة سريعة مثلا وبيشوف مشاهد بمشاعر متداخلة في وقت واحد وبيبقى الموضوع معاه عبارة عن رحلات متنوعة زي:

-رحلة السعادة ودي بيبقى فيها منتشي وسعيد وبيضحك من غير سبب ويتهيأله ان حيطان اوضته بترقص معاه ولو فيه رسمة على اي مكان قدامه ممكن يشوفها مجسمة وبتتحرك كمان.

-رحلة الخوف أو الرعب ودي عقله بيستجمع كل المشاهد المرعبة أو الكئيبة اللى مر بيها في حياته، فبيبدأ يسمع اصوات مرعبة ويشوف اشكال مخيفة.

-رحلة إنعدام الوزن بيكون حاسس انه بيطير في الفضاء وانه يقدر يلمس النجوم والقمر وانه قريب منهم فعلا، وفيه منهم اللى بيطلع فوق سطح بيته ويرمي نفسه من فوق لاقتناعه التام انه هيطير لكن طبيعي بيموت.

-الرحلة الاصعب والاهم هي رحلة الازدواجية ودي بيحس انه بيخرج من جسمه او انه شخصين في جسم واحد وشايف نفسه وهو بيخرج من جسمه أو إن راسه بعيدة عن جسمه والرحلة دي ممكن يفضل فيها فترة بتبقى من يوم لاسبوع أو أكتر.

ده كل اللى بيحصل للمتعاطي، بس عارف ايه اسهل حاجة ممكن تحصلّه ومش هيحس فيها بألم ولا تعب؟.

ايه يا عمي؟.

الموت.. الموت اوقات بيكون ارحم من حاجات كتير في حياتنا يا دياب.

يعني هو اللى بتعملوه في الناس ده يصح يا عمي؟.

• يضع كامل يده على كتف دياب ويأخذه خارج المخزن وهو يغلق الباب بإحكام.

احنا تُجار يا دياب يابني، وتجارة يعني شاري وبايع، وما بين الشاري والبايع.. يفتح الله.

يعني ايه؟.

يعني احنا مبنضربش حد على ايده.. العالَم ده كله مليان بلاوي ومشاكل والناس فيها اللى مكفيها، وبلدنا بالذات مليانة مصايب وذنوب تِحجزلنا نص جهنم كاش... إحنا مش ملايكة يابني.

صح احنا شياطين.

لا كدة ولا كدة... إحنا في النُص، إحنا بشر، بنخطئ ونتوب وربك رب قلوب، وانا وابوك كل سنة بنعمل حج وعمرة عشان نغسل ذنوبنا يابني.

عالاقل إحنا عارفين اننا غلط بس بنستغفر، غيرنا عارف وبيكابر ولعياذ بالله.

دي مبررات ياعمي، بتبرروا لنفسكم الغلط عشان الفلوس وبس.

احسبها زي ما تحسبها يادياب.

طب انا لما نزلت البلد قبل كدة سمعت عن واحد اسمه عطية الزناتي ده مين وايه قصته؟.

بص يادياب، من يجي تلاتين سنة أبوك وعمامك كان ليهم في موضوع الـــ.....

* * *

• يستيقظ دياب على صوت رنين هاتفه، مكالمة فائتة من والدته، يُعيد الاتصال بها حتي تُجيب:

- ايه يا دياب يابني كل ده نوم؟.

- معلش يا امي امبارح إتأخرنا في العملية بس، طمنيني على بابا؟.

- بخير يا حبيبي الحمد لله، عمل العملية والدكتور طمنّي وقالي ممكن نسافر بكرة بالليل.

- طيب تمام... كويس عشان كنت عايزه في حاجة بخصوص الشغل.

- لا شغل ايه... مينفعش شغل دلوقت خالص، الدكتور قال لازم يرتاح شهر عالاقل من التفكير.. يلا هسيبك دلوقت عشان بابا عايزني معاه.

* * *

• كان لدى دياب أصدقاء عِدة ولكنه كان دائماً بصحبة صديق واحد وهو أيمن، كان قد تَعَرَف عليه عن طريق صديقته، "حَماس" أخرج هاتفه وقام بالإتصال بأيمن ليجلسوا سوياً في باحة القصر.

* * *

25 / 4 / 2016.

• يصل الحج مصطفى الجزّار الى القصر ويجد في استقباله عائلته كاملةً، وفي غرفة الاجتماعات كان ينتظره ضيف آخر وهو الحج سلامة الحدّاد.

حمدلله عالسلامة ياحج مصطفى يارب تكون اتبسطت في الرحلة دي.

الله يسلمك يا حج سلامة، كانت ناقصاك، انت عارف بقى الواحد لازم كل فترة يجدد دمه بسفرية حلوة كدة.

اها طبعا، اخبار الشغل ايه يا حج؟.

احنا من امتا بنتكلم في الشغل لوحدنا يا سلامة؟ وكمان انت لهجتك مش مريحاني.

متأخذنيش يا حج مصطفى بس دياب صغير على عملية كبيرة زي دي، وانا يعني كنت بقول لو.

ابنك خالد، مش كدة؟ احنا اتكلمنا في الموضوع ده قبل كدة كذا مرة، وقولت قدام كل الناس ان أحق واحد بالكرسي بتاعي بعدي هو ابني دياب، لان مفيش عقل في عقل عيالكم زيه، وكمان ارتاح يا سلامة، الكبير مش هيطلع عن بيت الجزار خالص.

ده آخر كلام عندك يا حج مصطفى؟.

اه اخر كلام.. وبعد إذنك عشان عندي مشوار مهم.

ماشي ياحج اللى تشوفه، سلام عليكم.

وعليكم.

• يغادر الحج سلامة الحداد قصر الجزار مُتجهاً بسيارته الى عيادة الدكتور بهاء خلف.

دكتور بهاء، الحج سلامة الحداد بره وعايز يقابلك ضروري.

خليه يدخل يا مروة.

سلام عليكم يا دكتور.

وعليكم السلام يا حج اتفضل.

انا جايلك في موضوع مهم، يرضيك الى بيعمله الحج مصطفى.

خير في ايه.

مصمم ان ابنه هو اللى يبقى الكبير بعده.

طب وايه الجديد يا حج، ماهو قال الكلام ده قبل كدة قدامنا.

الجديد انه مرضيش يتكلم معايا في اخر عملية او ايه اللى تم فيها.

ومن امتا بيتكلم اصلا يا حج؟.

الحج مصطفى كلامه قليل ويوم ما بيتكلم بيتكلم مرة واحدة وبنكون كلنا موجودين عشان ميكررش كلامه مرة تانية.

ده كان مجرد سؤال يا دكتور، محصلش حاجة يعني لكل ده.

متشغلش بالك هانت كلها يومين ونتجمع كلنا ونفهم ايه الدنيا وكل واحد ياخد نصيبه.

ماشي يا دكتور.

* * *

• يدخل الحج مصطفى الى غرفة الاجتماعات ويظل بهيبته رغم مرضه الشديد ويبدأ حديثه معهم قائلا:

العملية المرادي رغم صعوبتها الا انها عَدِت بخير ودي تعتبر أسهل عملية عملناها من فترة، وده بسبب أبني دياب وتفكيره إنه يطلع بالشحنة دي لبر الامان، وأي حد فاكر نفسه أحق من دياب انه يمسك الشغل يبقى غلطان، هتروحوا مع كامل دلوقت عالمخزن وكل واحد هياخد نصيبه من البضاعة وهيتصرف فيها زي كل مرة، وأي حد عنده حاجة عايز يتكلم فيها يبلغها لكامل اخويا.

• يذهب كامل الى المخزن بصحبة الحج سلامة الحداد ويوسف ناصف وبهاء خلف ومعتز السلاموني لتقسيم نسبة كلا منهم، فدار بينه وبين الحج سلامة حديث جانبي:

بقولك ايه يا كامل.

ايه يا حج سلامة؟.

كنت بقول يعني لو تتكلم مع الحج مصطفى وتخليه يوافق يقابل خالد ابني.

تاني يا حج؟ احنا اتكلمنا ف الموضوع ده قبل كدة كتير، وكلمة الحج مصطفى متنزلش الارض.

وانت متعصب ليه كدة يا كامل.

عشان كبير عيلة الجزار محدش بيناقشه في كلامه.

• ثم نشب شجار بينهم أنهاه الدكتور بهاء خلف بأن اخذ الحج سلامة بعيداً خارج المخزن.

اهدى يا حج في ايه؟.

ورحمة مراتي ما هسيبه يا بهاء، والله لاقتله.

* * *

30/ 4/ 2016.

• إنتفض الحج مصطفى وزوجته من النوم على صوت جرس الهاتف الارضي للقصر حتى رفعت دينا

سماعة الهاتف وكان يحادثها شخص ما على الناحية الاخرى ويبدو انه أمر في غاية الأهمية:

الووو.. ايوة يا ست هانم، انا ضاحي بكلم سيادتِك مالبلد.

خير يا ضاحي في ايه.

خير ياست الكل كنت عايز البيه الكبير يجي البلد النهاردة عشان العمدة كان عايزه فـ مشوار صُلح بين عيلتين وطبعاً الحج معوّد أهل البلد إنه ميتأخرش عن فعل الخير.

ماشي يا ضاحي أول ما يصحى هبلغه واخليه يجيلكم.

• يستيقظ الحج مصطفى على صوت زوجته دينا ليسألها.

في ايه؟.

خير يا حبيبي إطمن، ده ضاحي كان عايزك تروح البلد عشان العمدة عايزك في قعدة صُلح بين عيلتين ولازم تحضر.

طيب قومي حضريلنا الفطار وخلّي ذكي يجهّز العربية.

حاضر يا حبيبي.

* * *

كَلِمته؟.

حصل.. متقلقش كلها ساعة وهيكون هنا.

* * *

• في تمام الرابعة عصراً، وصل الى القصر ضيف لمقابلة دياب مصطفى الجزار.

أعرفك بنفسي، أنا الرائد طارق البرديسي، ومعايا ملف مبعوت من حد معين وطلب مني اسلمه بايدي لكبير عيلة الجزار.

اتفضل ارتاح، كبير عيلة الجزار مش موجود حالياً بس انا ابنه، ممكن تسلمهولى وانا هوصلهوله.

مفيش مشكلة، بس الورق ده ميتطلعش عليه غير كبير العيلة بس.

تمام.

بعد إذنك.

اتفضل.

• خرج الرائد طارق من القصر وترك دياب في حيرة بالغة، ما الذي يحويه هذا الملف؟ ولِم هو بهذه الاهمية الشديدة.

* * *

• في تلك الفترة القصيرة، نجح فارس في كسب ثقة الحج مصطفى بطريقة غريبة، حتى أن اهل القرية كانوا يظنون أنه احد أبنائه، لدرجة انه كان كلما يشعر بأرهاق ولو صغير، يذهب للقرية ليستريح ليوم أو ليومين في منزل العائلة.

• ظهرت عوامل الكِبر على الحج مصطفى، ضُعف النظر، وإرتعاش اليدين، وحَملِه لعكازه الخشبي المُطعَم بالذهب الخالص.

• في ذلك اليوم دخل فارس على الحج مصطفى بملف اتضح أنه ذو أهمية كبيرة، وضعه على المكتب ثم وضع له قلمه ليضع توقيعه الخاص.

ورق ايه ده يا فارس؟.

حضرتك أنا من اول يوم جيت هنا وعم ضاحي قالي اي حاجة تعوزها تكتبها في ورقة عشان الحج مبيحبش الكلام وبيحب كل حاجة تبقى بورق، وده طلب صغير كدة كنت بتمنى حضرتك توافقلي عليه.

ايه الطلب ده؟.

انا وامي نفسنا نطلع عُمرة من زمان وانا بشتغل بقالي عشر سنين عشان اجمع تمنها عشان ابسط امي وافرحها، ومش طالب من حضرتك غير انك توافق بس.

• كان الحج مصطفى يرتدي نظارة طبية في أى وقت يتطلب الامر قراءة أي شئ لكن وقتها أدار وجهه أليه ضاحكاً له دون ان يرتدي نظارته قائلا:

بس كدة يافارس، ماشي، وكمان عربيتي الخاصة هتوصلكم لحد المطار، وادي إمضتي اهي عايزني امضي فين؟.

هنا سعادتك... وأشار بأصبعه.

انا متشكر اوي يا سعادة البيه ربنا يخليك لينا ويديك الصحة وميحرمناش منك.

• لم يتمالك فارس نفسه من الفرحة فلم يشعر بنفسه إلا وهو يمسح دموعه من عينيه.

روح يلا جهزلنا الغدا ولا هنفضل اليوم كله نتكلم وتمسحلي في دموعك كدة.. وضحك ثم ربت على كتفيه.

تحت أمرك يا سعادة البيه.

* * *

• دفع الفضول دياب بأن يفتح الملف الذي احضره الرائد طارق البرديسي وحين فتحه وجد صورة من شهادة

ميلاد شخص يُدعى فارس عطية الزناتي وورقة صغيرة كُتب عليها... عطية الزناتي عنده ولد وموجود في البلد، ومش هيسيب حقه، الورق ده لازم يوصل للكبير في القصر.. إمضاء/ الشيخ مأمون.

* * *

• إنتهى الحج مصطفى من وجبة الغداء ثم دخل الى مكتبه ليتابع اخبار القصر عن طريق الهاتف ولكنه فجأة سقط على الارض، أخذ ينادي على فارس لكي ينقذه مما حل به.

• دخل عليه فارس بكل هدوء ضاحكاً بصوت عالٍ قائلاً له:

ايه رأيك يا بيه، الموت البطئ حلو مش كدة؟.

إنت بتقول ايه يا فارس، الحقني بسرعة قومني وهات الاسعاف، أنا بمووت.

ههه مانا عارف انك بتموت، وكان نفسي أنقِذك لكن معلش مش كل اللى نفسنا فيه بنعمله.

انت ليه بتعمل كدة، انا عملتلك ايه..... وأخذ ينادي بأعلى صوته على ضاحي.

بتنده على مين، محدش هنا، ولو نديت للصبح مش هيسمعوك عارف ليه؟.... عشان مفيش غيري انا وانت ف البيت وضاحي مشي خلاص.

طب يابني انا أذيتك فـ ايه؟ دانا لسة موافقلك على الحج.

هههههه انت صدقت برضو يا حج... اللى انت مضيت عليه ده كان تنازل منك عن كل أملاكك، حقي الشرعي.

حقك إزاي انت مين؟.

انا فارس عطية الزناتي، إبن عطية الزناتي، انتوا نسيتوا بس امي منسيتش ومن صغري كانت بتجهزني لليوم ده،

ولعلمك عم ضاحي جاري ف البلد ولما حكيتله عالللى عملتوه زمان، قرر يقف معايا وهو قدر يجيبك لحد هنا.

الموضوع كله سلف ودين، وانت هتموت بنفس السم اللى قتلت بيه شباب كتير، انا حطيتلك في الاكل بتاعك من فترة جرعة بسيطة جداً من الزفت اللى بتعملوه في المكابس بتاعتكم، وبكدة تبقى إنت آخر واحد في اخواتك وابقى خدت حق أبويا.

• لم يستطع الحاج مصطفى أن يقاوم وظل يأخذ أنفاسه بصعوبة بالغة، حتى النفس الأخير... ولكنه كان قوياً لا ينكسر، فَفضّل أن يموت بهدوء دون أن يطلب العون من أحد.

• خرج فارس من غرفة المكتب، لكنه قبل أن يخرج أخذ الهاتف الخاص بالحاج مصطفى وأرسل رسالة لابنه دياب كان مفادها " الحقني أنا بموت ".

• على الناحية الاخرى اخذ دياب سيارته وهَب مُسرعاً لإنقاذ أبيه، ولكنه حين أتى كان أبيه فارق الحياة.

• أخذ جثة أبيه في صمت وذهب بها الى القصر، وهو في طريقه أخرج هاتفه وقام بالاتصال بصديقه أيمن والذي أخبره أنه أمام القصر ينتظره.

• دخل دياب القصر وهو يلهث ويستنجد بأي أحد أمامه لمساعدته على حَمل جثة ابيه للداخل فوجد أيمن بأنتظاره.

أبويا مات يا أيمن، روحت البيت الكبير لقيته واقع عالارض وميّت.

لا حول ولا قوة الا بالله.

معلش يا دياب كلنا لها، احنا لازم دلوقت نتصرف ونخلّص تصاريح الدفن بدون مشاكل، إتصل بعمك وقولّه، خليه يجي وانا هنزل اجيب مُغسل واشتري الكفن.

• بعد يوم طويل على عائلة الجزار في المقابر، عادوا جميعاً الى القصر بعدما أتموا أمور الدفن فعاد من عاد منهم الى بيته وبقى أيمن مع صديقه دياب.

• أخذ أيمن هاتفه وخرج لاجراء مكالمة تليفونية ثم عاد.

• انفرد أيمن بدياب في غرفة الضيوف ليتحدث معه.

انت لازم تجمد كدة يا دياب عشان لسة المصايب مخلصتش.

• رفع دياب عينه في دهشة أمام كلام أيمن، فأكمل الأخير قائلاً:

طبعاً انت دلوقت مش فاهم في ايه؟ أنا هفهّمك.

انا مسميش أيمن، أنا إسمي فارس عطية الزناتي، فاكر الإسم ده؟.

عطية الزناتي!.

آه.. ايه مسمعتش الاسم ده قبل كدة؟.

- لثوان معدودة تذكر فيها دياب الملف الذي أحضره الرائد طارق ووجد فيه هذا الاسم، وحديثه مع عمه كامل في المخزن:

من يجي تلاتين سنة أبوك وعمامك كان ليهم في موضوع الاثار، وكانوا لسة شباب صغيرين والدنيا قدامهم، عمك الكبير وده اسمه نور الدين كان يقدر بشطارته يعرف الحاجة دي مضروبة او أصلية، وعمك التاني وده كان شيخ واسمه الشيخ مأمون وكان يقدر انه يعرف المكان ده فيه حاجة ولا لا، وعمك الاخير اسمه رضا وكان يعرف ناس ليها صِرفة في الحاجة دي وكانوا بيسموهم التجار، في يوم من الايام أصغر واحد فيهم وهو عمك رضا، جه لابوك الحج مصطفى وقاله إنه سامع من الناس إن بيت عطية الزناتي فيه آثار ومش حتة ولا اتنين لا ده فيه مقبرة كاملة تِغني بلد، وعلى طول فعلا يومها أبوك مكدّبش خبر وأخد أخوه الشيخ مأمون ونور الدين عشان يتأكدو بنفسهم ولو فيه حاجة يتفقوا مع صاحب البيت.

ووصلوا لايه؟.

إن بيت عطية الزناتي ده، اللى كان افقر واحد في البلد ولا كان حيلته طين ولا عجين، موجود تحت بيته مقبرتين من دهب، يومها اللى كان يحتكم على الف جنيه يبقى غني ومحدش يعرف يتكلم معاه.

وبعدين؟.

أبوك وعمامك اتفقوا مع صاحب البيت انهم بعد ما هيطلعوا الحاجة هيقسموها بالعدل وقسمة الحق، وصاحب البيت معترضش بالعكس كان راضي وحامد ربنا على فضله، بس يومها حصلت حاجة محدش من أهل البلد يعرفها.

حصل ايه؟.

يومها كان أبوك وعمامك فوق بيستلموا الحاجة من اللى فـ المقبرة تحت واللى كان تحت هو عطية الزناتي صاحب البيت بس بعد ما طلعوا كل التماثيل الدهب وبقت المقابر فاضية خالص، أبوك ردم على عطية وكان بيساعده عمك نور الدين والشيخ مأمون مكنش راضي

بده ابداً، لكن ابوك قال له لو معملوش كدة هما اللي هيموتوا والمكان كله هيتطربق عاللي فيه، ومكنش فيه قدام الشيخ مأمون حل تاني غير انه يسكت ويرضى.

وصاحب البيت؟.

قفلوا عليه المقبرة وهو حي.

طب والحكومة؟ والناس!!.

أبوك كان عقله يوزن بلد، وقبل ما يتحرك خطوة بيكون حاسب عشر خطوات بعدها، بعد اتفاقهم مع عطية بالليل ابوك راح على دوّار العمدة واتفق معاه على كل حاجة وانه هينفّذ قبل الفجر والاتفاق كان انه يبعتله رجالة تأمّن المكان من برة وتِخرس لسان اى حد يتكلم في البلد والمقابل إن العمدة ليه نِسبة...الناس من يومها مبطلتش تسأل عن عطية الزناتي بس عمك نور الدين كان عامل حسابه من قبلها وجاب رجالة كان كل شغلها إنها ترد على اي حد يجيب سيرة عطية او يسألوا عليه فيقولولهم إنه سافر

هو ومراته اللى كانت حامل في أول ولد ليها.

من يومها وأهل البلد مبطلوش يسألوا على عطية ومحدش ناسيه.

وده اللي خلى أبوك الحج مصطفى يؤمر إخواته إنهم يسيبوا البلد ويمشوا.

أكيد عمك كامل حكالك كل حاجة بالتفصيل) قالها فارس ساخرًا)، قاطعاً بها تفكير دياب.

أُمال مين أيمن ده؟.

دي كانت مجرد لعبة بيني وبين "حماس"عشان تخليك تثق فيا وادخل بيت العيلة اللى قتلت أبويا وأخد حقه، الموضوع كان سهل جداً، نفس الكاس خليتكم تشربوا منه، انتوا كدة اخر حد في عيلة الجزار هينتهي على إيدي، عارف ليه؟... عمامك التلاتة كل واحد فيهم كان ليه ابن، ماجد وحسن ومالِك والتلاتة دول انا كنت اعرفهم بس ميعرفونيش وانا اللى اتسببت في قتل عمامك وكنت السبب في موت اتنين من ولاد عمامك، ماجد ومالِك ودول كانوا

بيتعاطوا نفس السم بتاعكم، أما حسن فأنا اللى ضربت النار على ابوه الشيخ مأمون وقت ما كان بيهرّب صاحبه.

• إنتفض دياب من مكانه ممسكاً فارس من رقبته.

مش هسيبك يا فارس وحق عمامي هجيبه، هرن على عمي كامل أخليه يأدّبك.

هههههه ياريت، بس لو كان بدري شوية، عمك كامل إتقتل من ساعة واحدة واللي قتله واحد من شركاء أبوك في الشغل بتاعكم، آه على فكرة نسيت أقولك تخلّي الشغالين بتوعك ينضّفوا بذمة، أنا حَطيتلَك بودرة في كذا مكان في القصر ودقيقتين بالظبط والشرطة تيجي تفتّش القصر ويقبضوا عليك، وبالمرة كمان دي صورة من عقد تنازل بخط إيد أبوك الله يرحمه عن كل أملاكه ليا، خريج حقوق بقى وزي مانتا عارف (أخد الحق صَنعة) يعني كدة انا اخدت حقي منكم.

ولعلمك انا خليت تاريخ عقد التنازل بيني وبين ابوك بتاريخه، لكن تسليم الاملاك بعد اسبوع من دلوقت ، عشان كل حاجة تمشي رسمي.

• في نفس اللحظة تدخل الشرطة قصر الجزّار وتحيط بالمكان، حتى يعثر رجال البحث على كمية كبيرة من المخدرات في أرجاء القصر فيتم القبض على دياب مصطفى الجزار.

* * *

1 / 1 / 2017.

• تم الحُكم على دياب مصطفى الجزّار بتحويل أوراقه إلى فضيلة المُفتي.

• يجلس فارس في شُرفة القصر المُطلة على الشارع وبجواره زوجته " حماس ".

- عارفة يا حبيبتي مش عارف من غيرك كنت عملت إيه.

- متقولش كدة يا حبيبي، إنت بس اللى دماغك تتّاقل بالدَهب، وانا مبسوطة ليك جداً إنك أخيراً أخدت حقك.

تمت

• أظن أنه حان الوقت لتتعرف على من يحادثك من البداية، شخص لم تكن تتخيل أن يتم بينكما حوار في يوم من الأيام، ولكنه حوار من طرف واحد، وهو أنا، انظر حولك ستجدني، فى صوتك المرتفع على والديك، فى مشاجرة أفتعلتها كي تأذي جار لك.. على نطاق اوسع، في كَم الجرائم التى تحدث، فى كَم الدماء التي تسيل من قاطني الكرة الأرضية، في كم الحروب التي نشبت بين الدول وبعضها، فى الجوع والفقر، ستجدني فى الشر فقط، في أي مكان وزمان يحتوي على رائحة الدماء شئ مؤسف؛ أعلم ذلك، ولكن تلك هي وظيفتي التى ما حييت الى الآن الا من أجلها إنه لامر مُخز أنك لا تأتي على لسان الناس ولا يذكروك إلا بالشر، ولكن هذه طبيعتي، أو؛ لها بقيت.

• أنا الشيطان، أُدعى سيتانا.... نعم.. ظننتك فَطِنت إلى ذلك من البداية، منذ أن أخبرتك بأن ماجد هو من قتل اصدقائه بناء على وساوس داخلية، وأن الشيخ حسن هو المدبر الأول لكل الاغتيالات لكبار القادة، والمسئول عن جميع الإنفجارات التى خلفت ورائها قتلى ومصابين إنتقاماً لمقتل والده، وأن مالِك هو من تسبب في مقتل أبويه وشقيقته بسبب عِنده وتكبره.

• وأن كل ذلك ما حدث إلا بسبب خطأ قديم تم إرتكابه في الماضي، إنه نِتاج الظلم.

• الحقيقة أن جميعهم أخطأوا فقط في الاستماع لي، وانهم كان كل ما عليهم أن يستمعوا لقلبهم الذي خُلِق على الفِطرة حتى يُلوَث ببعض الزيارات التى تُبعِده عن خالِقه، فيتثنى لي الفوز به لأفعل ما يحلو لي.

• من حين لآخر أتفقدُ أحوال الناس، فأجد منهم من يكون طيب القلب فأشفق عليه، ومنهم من لم يذق طعم النوم من كثرة تفكيره فى أذية صديقه فى العمل؛

فيسعدني ما يفكر به، ومنهم من أراه الآن يقف أمام جثة ضحية قتلها تواً؛ ذلك من أُصفق له.. هي الدنيا، وتلك طبيعتها لن تقف على أحد، لن يلتفت العالِم لشخص قُتل أو مجموعة، أو بلد كاملة تمت إبادتها في حرب دامت لسنين، فالعالم لديه ذاكرة يتم مسحها كل فترة عن طريق أشخاص ما، لا تظن انها تسير هباءاً، فالعالم له أصحاب.

• اللامبالاة: ذلك الشعور الجميل والذي يجعلك ترى اعظم الاشياء فى عين الاخرين لا تقدر بشئ فى نظرك، أهمها إسفاك الدماء، والذى سَعينا أنا وعشيرتي جاهدين من أجله لالاف السنين، أرجع إلى التاريخ جيداً فستجد أن كل حادثة كبيرة ذُكرت في تاريخ البشرية، كان من ضِمن أسبابها سبب مجهول، وذلك السبب هو السبب الرئيسي للحادث، أنا ذاك السبب، أنا تلك اليد الخفية التى تفعل ما يحلو لها وقتما تشاء، تلك اليد التي تلعب فى التاريخ وتُغيّر الأهواء، ولن يراها أحد سوى أقوياء الإيمان.

• كل ما بوسعي أن اقوله لك، هو أن الحروب لن تنتهي، ليس حُباً من البشر في سفك الدماء، ولكن.. لأن السلام غير مُربح، فالعالم لديه من المال ما يكفي لإقامة الحروب، ولكنه لا يمتلك ما يكفي لإطعام الجياع.. وهو الحُب.

• دعني أعتذر لك إن فهمت من كلامي معك فى بداية الرواية أني بشري وذلك حين قلت لك أن ما يشغلني هو نفاذ رصيدي اليومي من التبغ، أو من نظرة البعض لي في جامعتي، ولكنّي كنت أقصد اني أصبحت بداخل أي شخص للدرجة التى تسمح لي بالحديث على لسانهم، وبالأخص الثلاث شخصيات ضيوف روايتي.

• لن يتوان البشر عن محاكمتك يوماً، إنهم متميزون حقاً في نصب المقصلة بناءاً على وجهة نظر البعض منهم.. أقصد البعض الاقوى منهم، فإن خضعت لهم وسلمت فإنك قد تكون بهذه الطريقة إقتلعت رأسك من فوق جسدك وقدمتها لهم على طبق من ذهب، وإن استمعت إلى صوتك

الداخلي، تَيقنت بأنه لا مفر من محاسبة النفس فى كل ثانية، انت الآن فى حيرة كبيرة، لا تدري ماذا تفعل أو أي طريق تَسلُك، فما الدنيا إلا طرق شتّى، وما عليك إلا أن تكون في مكان القيادة، ولا تُسلّم عجلة المقود لأي شخص فى حياتك سواك أنت، أنت فقط تعلم ما يدور بداخلك وما يدور حولك ولكن يظل السر الاعظم هو ما يشغلك وهو ما لا تعلمه ولن تعلمه وهو عِلم الغيبيات.

• تمتع بما تبقى لك من أيام فى هذه الدنيا يا صديقي، فلقد أقترب موعد الساعة، واظن أنه واضح أمامك من كل ما يحدث حول العالم من فِتن وأياد خفية ودماء تكاد تغرقه، ولكن إياك أن تَغُرّك نفسك لتقوم بالمساس بي أو أذيتي أو الإستعاذة مني في أي وقت، ذلك لأنك ضعيف، لأني قد اكتشفت أنكم قد فعلتم أموراً لا أستطيع انا أن أوسوس بها أحداً، وكلما رأيت منكم ما يسرني، لا يسعني وقتها سوى التصفيق.

النهاية